العدد الثامن

السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع النيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٠٥

الاشتراكات

قرش
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ عن ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة البريد خارج القطر

شوال سنة ١٣٧٢ — يونيه سنة ١٩٥٣

هذا القرآن

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

بيانه في مناسبة غزوة بدر :

لما خرج الرسول عليه السلام إلى لقاء أعدائه فى وقعة بدر لم يخل هذا الخروج من متاعب فقد جادله فى الحق قوم وكرهوا أن يخرجوا معه وفى ذلك يقول الله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » . فهو قد أخرجه الله من بيته بالحق ووجد قوما يجادلونه بعد ما تبين لهم الحق جدالا عنيفا يريدون أن ألا يخرجوا ، فلم يتأثر رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك ولم يستمع إلى قول المثبطين الذين لا يريدون قتالا فى سبيل نصرة عقائدهم .

ثم إنه ذهب يريد شيئاً وأراد الله شيئاً آخر . أراد الرسول وأصحابه أن يلحقوا بعير أبى سفيان تعويضاً لهم عما أخذت قريش من أموالهم حين الهجرة ولكن أبا سفيان إنحاز إلى الشاطىء وأتت قريش بخيلها ورجلها تريد أن تحارب الرسول وتقضى على

العدد الثامن

السنة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

المسلمون

مجلة إسلامية جامعة

تصدر مع غرة كل شهر عربي

سنتها عشرة أعداد

صاحب الامتياز
ورئيس التحرير
سعيد رمضان

الإدارة :
٣٢ شارع النيل
بالروضة بالقاهرة
تليفون : ٢٤٤٠٥

الاشتراكات
قرش
١٠٠ عن سنة كاملة
٦٠ عن نصف سنة
للطلاب وجنود الجيش
٨٠ عن سنة كاملة
٤٠ عن نصف سنة
٢٥ من ثلاثة أعداد
يضاف إليها أجرة
البريد خارج القطر

شوال سنة ١٣٧٢

يونيه سنة ١٩٥٣

هذا القرآن

« إِنَّ هَذَا القُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ »

لفضيلة الأستاذ حسن الهضيبي
المرشد العام للاخوان المسلمين

بيانه في مناسبة غزوة بدر :

لما خرج الرسول عليه السلام إلى لقاء أعدائه فى وقعة بدر لم يخل هذا الخروج من متاعب فقد جادله فى الحق قوم وكرهوا أن يخرجوا معه وفى ذلك يقول الله تعالى « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون » . فهو قد أخرجه الله من بيته بالحق ووجد قوما يجادلونه بعد ما تبين لهم الحق جدالا عنيفا يريدون أن ألا يخرجوا ، فلم يتأثر رسول الله عليه الصلاة والسلام بذلك ولم يستمع إلى قول المثبطين الذين لا يريدون قتالا فى سبيل نصرة عقائدهم .

ثم إنه ذهب يريد شيئاً وأراد الله شيئاً آخر . أراد الرسول وأصحابه أن يلحقوا بعير أبى سفيان تعويضاً لهم عما أخذت قريش من أموالهم حين الهجرة ولكن أبا سفيان إنحاز إلى الشاطىء وأتت قريش بخيلها ورجلها تريد أن تحارب الرسول وتقضى على

دعوته وهنا يقع فى قلوب بعض الناس أن الغاية التى جاءوا من أجلها قد انتهت وأن أبا سفيان قد فاتهم بما معه من عروض التجارة التى كانوا يطمعون فى غنمها وأنه لاضرورة لقتال قريش ولكن الله تعالى كان قدّر لهم أن الخير كل الخير فى قتال قريش لأنهم الفئة ذات الشوكة التى إن انهزمت فقد انهزم الشرك كله وأخذت الدعوة سبيلها إلى الذيوع والإنتشار وفى ذلك يقول الله تعالى : « وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » .

التقى الجمعان وكان المسلمون قلة آمنت بحق ، وكان المشركون كثرة تجمعت على باطل. لذلك وجد الإبن يقاتل أباه والأخ يقاتل أخاه ووجدت صلة الأخوة فى الله بين المسلمين أقوى من صلة الدم ، أقوى من القرابة القريبة « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره » .

انتصر المسلمون ، انتصر الحق على الباطل ، فلنتأمل فى عوامل هذا النصر لعلنا نفيد منها شيئاً .

فأول هذه العوامل : الإيمان : الإيمان الذى لا يخالجه شك . إن قلوب المؤمنين كانت عامرة بالايمان . كلهم آمن بأن الموت حق وأن الحروب لا تقصر الآجال ، وأن القعود فى البيوت لا يطيلها « قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أجلها ورزقها وعملها » . والذين يمنون على أمتهم بأنهم ضحوا بأرواحهم لم يقدموا فى حقيقة الواقع شيئاً . وإنما يجب عليهم أن يشكروا الله أن وفقهم لهذه التضحية فلنؤمن بالله وبحقنا ولنؤد ما يفرضه علينا الحق تعالى غير خائفين من الموت ولا مما يخيف الناس عادة « لا يبلغ العبيد حقيقة الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه أبداً ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه أبداً طويت الصحف وجفت الأقلام » .

ومن عوامل النصر أنه يجب علينا حين نعتقد أمراً لا نلتفت إلى تثبيط المثبطين ولا تخذيل المخذلين بل نمضى فيما اعتزمنا بعد تدبر وتفكر تذود عن أفكارنا ما عسى أن يكون علق بها من دواعى القعود — وإن للمثبطين والمخذلين طرقاً غاية فى البراعة يلبسون فيها الحق بالباطل حتى يشتبه الأمر على الناس ، فليحذر الاخوان أن يستمعوا

إلى شىء من ذلك أو أن يسرعوا إلى تصديق الأخبار التى تذاع فإن أغلبها مما يرجف به المغرضون .

ومن دواعى النصر تفويض الأمر لله تعالى والرضى بما اختار والاعتقاد بأن الخير كله فى ذلك . فالخير الذى نجم عن فوات أبى سفيان للرسول وكان قد خرج للقائه ، ثم لقاء قريش وحربها والانتصار عليها وهى الفئة ذات الشوكة لم يكن هيناً فى تاريخ الاسلام بل كان شيئاً خطيراً فقد انتصرت فئة قليلة على فئة كانت ثلاثة أضعافها فأدى ذلك إلى علو مكانة الاسلام وهيبته فى نفوس العرب وإلقاء الرعب فى نفوس المعاندين. وهذا وذلك من عوامل قوة الدعوة وإضعاف خصومها .

إن الله تعالى قد أمرنا بأن نتخذ العدة فقال « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » وهذه هى سنة الله الكونية فى الأمم والشعوب . وإعداد القوة لا يقتصر على القوة المادية ، ولعل قوة النفس بالايمان وتحصينها بالتقوى والبعد عن المعاصى تقع فى المرتبة الأولى من وسائل الإعداد ، ولكن لا ينبغى لنا أن نعتقد أن العدة وحدها كفيلة بالنصر فالله تعالى قد اختص نفسه بذلك ونهانا عن أن نظن فى العدة وحدها طريق النصر وقد ذكر ذلك فى آيات كثيرة من القرآن « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين » . « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » — لذلك كان رسول الله عليه الصلاة والسلام فى يوم بدر يدعو الله فى عريشه أن ينصر المسلمين ويبالغ فى دعائه مع أن الله وعده النصر ولعله فعل ذلك مخافة أن يختلج قلب مسلم بالظن بأن العدة كافية أو أن يختلج قلب مسلم بمعصية فيحبط عملهم فعلينا أيها الإخوان أن نزود أنفسنا بالقوة : قوة الإيمان وقوة التقوى وقوة الأخلاق وقوة الاستقامة وأخيرا القوة المادية بجميع أنواعها .

أيها الإخوان : إن مما تمتاز به دعوتكم أنها تذكر الناس بقرآنهم وسنة رسولهم . هذا القرآن الذى طالما قرأه الناس على الأموات وما أنزله الله إلا ليقرأه الأحياء فيكون لهم به حياة . وصدق الله العظيم : « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ومن ثم يقرؤه الإخوان المسلمون معانى لا ألفاظا ، يقرءونه وطنية وأخلاقا واجتماعا وما أشد حاجة الناس إلى هداية القرآن فى هذه النواحى . لو كان أعداؤنا يعرفون أن القرآن يقرؤه المسلمون اليوم كما كان يقرؤه المسلمون فى الصدر الأول ويتأثرون به كما كانوا يتأثرون وأن قراءته تهز شعرة واحدة فى أبدان المسلمين

لما أذاعته على المسلمين إذاعات لندن وباريس وإسرائيل ، ولكنهم يذيعونه على أن المسلمين يطربون له كأنغام توقع للتسلية وتقضى بها أيام المآتم والأفراح ثم لا شيء وراء ذلك .

أيها الإخوان : إن دعوة الإخوان المسلمين لم تعد دعوة محلية فى حدود وطن صغير ، وإنما غدت دعوة عالمية تشمل العالم الإسلامى بأسره وتوقظ فى المسلمين روح العزة والكرامة والتقوى ، فهى اليوم عنوان انبعاث لا نوم بعده وتحرر لا عبودية معه وعلم لا جهل وراءه . ولم يعد من السهل على أية طاغية أن يحول دون انتشار هذه الروح أو امتدادها ، وما ذلك إلا لأنها تعبير صادق عن شعور عميق يملأ نفوس المسلمين جميعا ويستولى على مشاعرهم وعقولهم وهو أنهم لا يستطيعون اليوم نهضة بدون الإسلام فالإسلام فى حقيقته ضرورة وطنية واجتماعية وإنسانية .

هو ضرورة وطنية لأن الوطن فى حاجة إلى قلوب أبنائه وسواعدهم وتضحياتهم ، وليس كالدين عامل قوى يبعث فى نفوس المثقفين وعامة الشعب على السواء حب الوطن والتضحية فى سبيله والذود عن كيانه . والتاريخ الإسلامى القديم وعظمته ليست إلا أثرا بينا لما أوجده الدين فى نفوس المسلمين الأوائل من هذه الحياة المليئة بأروع معانى التضحية والإيثار . وفى عصرنا الحاضر استطاعت الدعوة الإسلامية أن تحيى هذه المعانى بما رآه الناس من ضروب التضحية والفداء فى حرب فلسطين ومعركة القنال الأولى على أيدى الإخوان المسلمين ولو أن جميع من اشتركوا فى حرب فلسطين كانت يملأ نفوسهم تلك الروح التى بثها الدين فى نفوس الإخوان المسلمين لتغير مصير المعركة من هزيمة إلى نصر . إن الجيوش لا تنتصر بقوة السلاح فحسب ولكنها تنتصر بقوة الروح المعنوية قبل كل شيء ، وقادة الجيوش فى العصر الحديث يحرصون على الروح المعنوية فى جيوشهم بوسائلهم الخاصة ، ونحن المسلمين لا نجد أذكى لهذه الروح من الدين حين يفهم على وجهه الصحيح .

والدين ضرورة اجتماعية ؛ فكل الغيورين على مصالح الشعب وكرامته يشعرون معنا بأن مجتمعنا ملىء بالنقائص والمفاسد وأن الواجب يحتم علينا المبادرة إلى معالجة هذه النقائص والمفاسد من أقرب طريق وأحكمه ولا يشك كل من درس الإسلام بروح منصفة وعرفه على حقيقته من مصادره الصافية فى أنه خير وسيلة لإصلاح العيوب التى نشعر بها فى وطننا وأسرع طريق للوصول إلى الإصلاح الذى ننشده ، ذلك لأنه يكفل لكل مواطن حقه فى العلم والعقيدة والعبادة والحياة الكريمة التى من ضروراتها فى الإسلام المسكن الصالح والغذاء الصالح والملبس الصالح والعلاج الكافى ، كما أن من ضروراتها توفير الكرامة لكل إنسان حتى لا يهان بشتم أو تحقير أو عقوبة بغير حق .

والإسلام يسخر قوى الدولة كلها لتحقيق هذه الضرورات للمواطنين جميعا ولا يترك أمرها لضمائر الناس حين تغفل القيام بواجبها ، ولعل مما يجهله كثير من الناس أن من مقاصد الجهاد فى الإسلام رفع الظلم بمختلف أنواعه عن الضعفاء والمظلومين فى الأرض « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » .

إن هذه المبادىء التى ينادى بها الإسلام لإصلاح المجتمع هى جزء من نظامه العام وعقيدته الشاملة وهو بذلك يلامس عقائد الناس وضمائرهم فالاستجابة إلى هذه المبادىء التى ينادى بها الإسلام هى فى نظر المسلم فرض يجب تحقيقه كالصلاة والصيام فلماذا نترك هذا السلاح الفعال السريع فى إصلاح أحوالنا ؟

أما الخوف من أن تؤدى الاستفادة من الإسلام فى إصلاحنا الاجتماعى إلى الإساءة لإخواننا المواطنين من غير المسلمين فهو خوف لا محل له لأن ما يستفيده المجتمع من إصلاح الإسلام يشمل الناس جميعا وخير لغير المسلمين أن يعيشوا فى مجتمع تكفل فيه أسباب السعادة والعيش الكريم وتحكمه مبادىء الأخلاق الفاضلة التى نادت بها الشرائع جميعها من أن يعيشوا فى مجتمع مفكك كمجتمعنا الحاضر يفيض بالمآسى والمظالم .

ومن الضرورات الاجتماعية التى تحتم الاستفادة من الأسلام فى وضعنا القائم أنه خير علاج للقضاء على التعصب الدينى الذميم والنعرات الطائفية البغيضة ، فالإسلام قدر الحقيقة الواقعة وهى اختلاف الناس فى أديانهم وقدر الحاجة إلى تعاونهم فى الحياة مع اختلاف أديانهم فأمر المسلمين باحترام عقائد الآخرين وحرية عباداتهم بل أوجب علينا الإيمان بالأنبياء السابقين وكتبهم المنزلة « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ومن أجل ذلك كان من المجمع عليه فى الإسلام أنه لا يجوز شتم أهل الكتاب فى دينهم وأنبيائهم وكتبهم . ومن الظواهر البارزة فى تاريخ الإسلام كله أنه لم تحاول دولة من الدول الإسلامية سواء كانت فى عصور العزة والعلم أم فى عصور الضعف والجهالة أن تتدخل فى شئون غير المسلمين الدينية بل كانت تترك لهم حرية التحاكم إلى محاكمهم الملية فى أحوالهم الشخصية، وكل ما له علاقة بعقائدهم .

فعل المسلمون هذا فى مختلف العصور لا مجاملة ولا تفضلا بل نزولا على حكم الإسلام ولو أمرهم الإسلام بغير ذلك لفعلوا — ونزيد على ذلك أن ما أوجبه الإسلام على المسلمين من آداب المعاملة فى الجوار لم يفرق فيه بين مسلم وغير مسلم بل قال الرسول عليه السلام : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » — هذا هو موقف الإسلام وعمله فى القضاء على التعصب الطائفى لا كما يظنه المغرضون على الإسلام والجاهلون به .

والإسلام ضرورة إنسانية فإنه أمر بالتعاون بين الشعوب على أساس الحق والكرامة ومبادىء العدالة المطلقة التى لا تتأثر بالمصالح الشخصية والفروق الجنسية « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وهو دين سلام ، ولذلك كانت تحية المسلمين السلام وختام عباداتهم السلام واسم الله السلام وتحيته لعبادة يوم يلقونه سلام ، بل إن هدف الإسلام هو إيصال الناس إلى طرق السلام « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » ولهذا وجب على المسلمين كافة أن يدخلوا فى السلم ولا يجوز لهم القتال إلا دفعاً للعدوان عن أنفسهم وعن غيرهم .

وإنما يعكر صفو السلام بين شعوب الأرض اليوم أن قادة هذه الشعوب لا ينظرون إلى مصلحة الإنسانية مجتمعة وإنما ينظرون إلى مصلحتهم ومصلحة شعوبهم فهم يدعون إلى السلام فى جو من الحقد والجشع والتعصب وهى من أكبر عوامل الحروب بين الشعوب . فهذه الدعوة التى تتصاعد من هنا وهناك للسلام من رجال يصرون على استعمار الشعوب واستلاب خيراتها والعدوان على كرامتها ليست إلا نفاقاً وخداعاً يستحق الرثاء .

أيها الإخوان : نحن نحيى هذه الذكريات لنتحدث عن الماضى فنعتبر به وعن الحاضر فنذكر أنفسنا بما يجب علينا القيام به — وقد حدثتكم عن العبر المستفادة من وقعة بدر وعن الإسلام كضرورة وطنية واجتماعية وإنسانية — والآن أحدثكم عما يهمنا من شئون الحاضر :

لقد كنا نود أن تنتهى المحادثات التى جرت بين الحكومة المصرية والإنجليز بالاعتراف بحق مصر فى الجلاء الناجز فنوفر على البلاد مجهوداتها وأموالها وأوقاتها لتدعيم نهضتها فى الإصلاح والتعمير وتمكين مصر من خدمة قضايا شقيقاتها العربية والإسلامية والمساهمة فى قضية السلام العام الذى يتطلع إليه العالم ولكن للطامع الاستعمارية

تغلبت على الإنجليز وأبت أن تعترف بحقنا فى السيادة الحقيقية على أرضنا وتذرعت بأسطورة الدفاع عن العالم الحر لتبقى جيوشها مثلا للعدوان على شعب حُرّ يريد أن يعيش قوياً وكريماً وبذلك أصبحت مصر فى حل من أن تسلك كل طريق يؤدى بها إلى تطهير أرضها من الغاصبين .

والإخوان المسلمون يضعون كل إمكانياتهم رهن وصول مصر إلى حقها الكامل لا يضنون فى سبيل ذلك بدمائهم ولا بأموالهم ولا بجهودهم . وإن لهم من إيمانهم وصدق وطنيتهم وقوة تربيتهم ما يجعلهم قادرين على تحمل الأعباء الجسيمة فى معركة مصر المقبلة . وإذا كان غيرهم يعتبر قيامه بهذا الواجب مما تفرضه عليه الوطنية فإن الإخوان يرون فى قيامهم بنصيبهم فى تلك المعركة عبادة يتقربون بها إلى الله ويشترون بها الجنة .

وإننا مع هذا نتابع جهودنا فى ميدان الإصلاح الداخلى متعاونين مع كل من يريد الإصلاح والخير لهذا الوطن مؤيدين رجال العهد الحاضر فى ذلك تأييد الكريم للكريم لا يألوه عوناً إن أصاب ولا نصحاً خالصاً إن أخطأ معرضين عن كل ما يحاوله أعداء الإصلاح فى عهده الجديد من إيغار الصدور وتفريق الصفوف . وموقفنا هذا مما يفرضه حق الأمة والوطن على جماعة تدعوا إلى الله وتحمل لواء الإصلاح لا تبتغى من الناس جزاء ولا شكورا . وليس علينا بعد ذلك أن تكون نصيحتنا مقبولة أو غير مقبولة ونحن لا ندعى العصمة فى الرأى وإنما نسأل الله للناس التوفيق والسداد .

وإذا كنا قد أعلنا عن استعدادنا للعمل لتحرير مصر من كل أثر للاحتلال ، فإننا نعلن بهذه القوة نفسها وهذا العزم نفسه عن استعدادنا للعمل على تحرير الشعوب العربية والإسلامية من الاستعمار والاحتلال حتى يتبوأ العالم الإسلامى مكانه اللائق به فى عالم الحق والخير . وما دام الإسلام يعتبر معركة الحرية فى بلاد الإسلام واحدة لا تتجزأ فإن على كل مسلم أن يساهم بنصيبه فى تحرير الوطن الإسلامى من قيود الاستعمار وآثار الطغيان .

أيها الإخوان : إن الله جعلكم جنوداً لقضية الحق والفضيلة والعزة فى وطنكم وفى العالم الإسلامى كله ، وإذا كان من واجب الجندى المخلص أن يكون مستعداً دائماً للقيام بواجبه فى خوض المعركة ، فإن من واجبكم أن تكونوا مستعدين دائماً لما يؤدى بكم إلى النصر فى ميادين الإصلاح والتحرير . فزكوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وحاربوا أهواءكم وشهواتكم قبل أن تحاربوا أعداءكم ، فإن من انهزم بينه وبين نفسه فى ميدان الإصلاح أعجز من أن ينتصر على عدوه فى معركة السلاح . وكونوا مثلا حية للأخلاق القرآنية حتى يعرفكم الناس بأخلاقكم قبل أن يعرفوكم بأقوالكم .

الجهاد فى شريعة الله

لفضيلة الشيخ محمد أبى زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ — قال الله تعالى : « أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير » .

وقال تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ثم قال سبحانه : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين . الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ، وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

تلك آيات الله الحكيم تشرع القتال ، وتُحرض عليه دفاعا عن الحوزة ، وحماية البيضة ، وإقامة لشرع الله ، وصونا لحرماته ، ومنعا للفتنة فى الدين ، وحتى يكون الدين كله لله ؛ وليكون الاختيار كاملا فى التدين ، ولحماية حرية العقيدة ، حتى يؤمن الناس جميعاً لأنه لا إكراه فى الدين ، إذ تبين الرشد من الغى .

٢ — فالآيات الكريمة بينت العلة الباعثة على القتال فى الإسلام وغايته ، ثم بينت حدوده ونهايته . لقد بينت الآيات أن الباعث عليه الاعتداء الواقع ، أو المتوقع ، والأذى المتواصل من المخالفين ؛ فشرع لرد الاعتداء وللدفاع ، وقد يلبس الدفاع لبوس الهجوم ، كمن يرى قوما يتأهبون لغزو دياره ، وقد أعدوا العدة وأخذوا الأهبة ، وهو متأكد لامحالة أنهم سينقضون عليه ، إن لم يباغتهم ، وسيغزونه فى عقر داره ، إن لم يسبقهم ؛ فإنه فى هذه الحال يكون الدفاع المحكم أن ينقض عليهم قبل أن ينقضوا عليه ، وأن يغزوهم قبل أن يغزوه ، وأن يتغداهم قبل أن يتعشوه ، فإنه ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا كما قال فارس الإسلام على بن أبى طالب .

٣ — ولقد رسمت الآيات الحدود ، فبينت أنه يجب أن يعامل العدو بمثل ما يعمل ؛ فإن أسر منا أسرنا منه ، وإن قتل أسرانا قتلنا أسراه ، وإن استرق الأسرى منا استرققنا الأسرى ؛ لأن رد الاعتداء يكون بمقداره ، وهو الذى قد اختار الاعتداء

فتومل بما عامل الناس به ، من غير شطط ولا مجاوزة للحد ؛ على أن المسلم مقيد فى قتاله بما لم يقيد به المخالف ؛ ذلك بأنه مقيد بأوامر الدين يعامل بها أعداءه وأولياءه ، حتى لا يسوغ للمسلم المُثْلة بأن يمثل بأجسام القتلى ، أو يشوه أعضاء الأحياء قصدا ، ولو كانوا هم يتخذون المثلة ذريعة للإفحاش فى الانتقام والأذى ، ولا يسوغ للمسلم أن يُجيع الأسرى أو يتركهم حتى يموتوا جوعا أو عطشا ، ولو كانوا هم يفعلون ذلك ؛ لأن المسلم مقيد بالدين والخلق الكريم ، بل إن إطعام الأسير من أكبر المكارم فى الإسلام فلقد قال تعالى فى المخلصين من المؤمنين : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » فاعتبر إطعام الأسير بل إيثاره بالطعام على النفس من أفضل صفات المؤمنين ، ولقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بأسرى بدر ، وأنزلهم فى بيوت الأنصار فكانوا فى بيوتهم كأنهم الضيف المكرمون ، لا الأعداء المحاربون .

٤ — وجعل القرآن نهاية القتال زوال الاعتداء ، ومنع الفتنة أو انتهاءها ؛ وذلك لأن الذين يعتدون على المسلمين بوصفهم مسلمين ، إنما يريدون أن يفتنوا الناس عن دينهم ، ويضطهدوهم فى اعتقادهم ، وهم بذلك يحاربون حرية العقيدة فى أحسن أحوالها ، ويقتلون حرية الرأى فى أقوى مظاهرها ؛ وتلك هى الفتنة فى الدين ، والصد عن سبيل الحق ، ومحاولة إطفاء نور الله كما قال الله تعالى فيهم : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

فإن انتهوا فلم يحاربوا العقيدة ، ولم يضطهدوا المتدينين فإنه لا حرب ولا نزال ، كما قال تعالى : « فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .

فالقرآن الكريم حد الباعث على القتال فى الإسلام بالاعتداء من جانب الأعداء ، فإن اعتدوا أو تأهبوا للاعتداء ، أو كان الاعتداء منهم متوقعا ، وجب قتالهم ، فإن انتهى الاعتداء فلا قتال : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

٥ — ولقد يقول قائل : كيف يباح القتال فى الدين ، والأديان للهداية لا للقتال ، وللتبشير والإنذار ، لا للضرب والنزال ؛ وللسلم والفضيلة ، لا لهدم مابناه الله فى الأرض بقتل البشرية ، وسبى الذرية .

والجواب عن هذا أن ذلك مقصد الأديان فى لبه ومعناه ، وغايته ومنتهاه ، ولكن أعداءها لا يتركون الهداية تسرى فى مساربها فى لين ورفق ، يهتدى من يهتدى ، ويضل من يضل « من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها »

لا يقول أعداء الأديان لكم دينكم ولى دين ، بل يقولون إنه يجب أن يخضع الحق للباطل ، والنور للظلام ، والبصير للأعمى ، والمهتدى للضال ، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور ، وعندئذ تنزل الشديدة بالمؤمنين ، ويكون الصراع بين الحق والباطل ، وبين النور والظلمة ، والهداية والضلالة ، فلا بد أن يكون للحق جولة ، ولا بد أن يكون لأهله صولة .

من أجل ذلك كتب القتال فى الشرائع السماوية ، فقاد موسى وهرون بنى إسرائيل ليدخلوا الأرض المقدسة مجاهدين ولكنهم نكصوا على أعقابهم وقالوا لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » .

ثم جاء النبيون من بعد موسى فقادوهم فى حروب مظفرة دونتها كتبهم . وكتب العهد القديم التى هى حجة عند اليهود والنصارى تفيض بأخبار الأنبياء الذين جاهدوا أو قادوا الجيوش ، وحملوا السيوف ، وأنزلوا بأعدائهم أشد البلاء ؛ حتى حملوهم على الحق حملا .

٦ — إن الإسلام يطلب السلم ، ويريده ويدعو إليه ، وقتاله لحمل الناس عليه ؛ فإن القتال أنفى للقتال ، والاستعداد للحرب أنفى للحرب ، ولا يؤرث نيران الحروب إلا ضعف الضعفاء ، واستعداد الأقوياء ، ولو علم القوى أن خصمه ذو ظفر وناب لنهنهه من حدته ، وخضد من شوكته ، وأحجم ولم يقدم ، وحيث كان التردد فى النزال كان المنفذ إلى السلام .

وليس أدل على حب الإسلام للسلام من الدعوة الصريحة إليه فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » .

وإن السلم التى يدعو إليها الإسلام سلم عزيزة قوية ، وليست سلما ذليلة مستضعفة مستخذية ، فهى سلام ، وليست استسلاما ، وهى عزة ، وليست استخذاء ، وهى سلام يسوده سلطان الحق ، ولا يعكر صفوه لجلجة الباطل ، فإن اتجه ابن الإنسان ذلك الاتجاه فالإسلام أول من يذهب إليه ؛ أما إذا كان السلام معناه تمكين القوى من رقاب الضعفاء ؛ وتغليب الحق على الباطل ، ومنع الضعيف من أن يستغيث فإن الإسلام لايقبله ولا يرضاه ؛ لأنه لا سلام مع الظلم ، ولا سلام مع أكل القوى لحق الضعيف ؛ إنه الحرب اللئيمة الخائنة الغادرة الماكرة ، وإنها فرض الذلة على رقاب الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً كما قال الإمام عمر رضى الله عنه ، وما كان لمتدين بهذا الدين

الحق أن يرضى بهذا لأنه الاعتداء الذى يجب رده ، والغدر الذى يجب كشفه بحد السيف ، وهو أصدق إنباء من الكتب .

٧ — إنه حيث يسود السلام المطلق الذى يترك الناس أحراراً ، لا يحمل السيف إلا على من يعتدى على ذلك السلام الذى اجتمعت الشعوب والقبائل عليه ، وتعارفه الناس وتآلفوه ، ولا يمتشق أحد الحسام لأحد ، وتمتلىء الأرض سلاماوعدلا ، بقدر ما امتلأت اليوم جوراً وبغياً . إذا كان سلام من ذلك النوع فالإسلام لا يرفع سيفاً ، وللسلم لا يخوض حربا . ولكن هذا النوع من السلم حلم الفلاسفة والحكماء ، ولم يتحقق فى الوجود الإنسانى لأنه منذ نزل آدم إلى هذه الأرض والنزاع فى طبيعة هذا الوجود الإنسانى ، فلقد قال تعالى لبنى آدم والشيطان عندما نزلوا من جنة الله :

« وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين » .

ومن يوم أن قتل ابن آدم أخاه ، والدماء من بنى آدم تخضب الأرض ، وإن القرآن المتلو إلى يوم القيامة يذكرنا بهذه القصة التى تكشف عن طبيعة الأثرة فى النفس البشرية ، وقوتها وما تؤدى إليه ، فقد قال تعالى : « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، قال لأقتلنك ، قال إنما يتقبل الله من المتقين ، لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين ، إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك ، فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه ، قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين » .

فهذه القصة القديمة الموغلة فى القدم إلى الطبقة الأولى من أولاد آدم ، هى القصة الباقية إلى يوم القيامة . لقد قتل ابن آدم أخاه ؛ لأن عبادته لم تقبل وقبلت عبادة أخيه ، ونحن إلى اليوم نرى صورة هذا القتال ، بين أهل الديانات ، وإن لبس لبوس السياسة ، ونرى الاعتداء بسبب العقيدة ، وإن استتر تحت اسم آخر ، ونرى تعاونا على الإثم والعدوان ضد أهل الحق وأهل التوحيد ، وإن حاولوا أن يخفوه فالله مبديه .

ونرى ابن الإنسان يخترع أدوات الفتك والإبادة لإخوته ، فلا يكون القتل بالآحاد بل بالجماعات ، بل بالمدائن والأقاليم ، فكلما كبر العقل الإنسانى كبرت معه تلك الطبيعة الأرضية فى الإنسان ، واتسعت آفاقها ، وتعددت أنواعها .

٨ — وإذا كانت تلك طبيعة الإنسان ، وأن الأثرة وحب الغلب والسلطان في طبيعة الإنسان ، فالحروب باقية ما بقيت هذه الدنيا ، ولا يسوغ لعاقل أن يلتفت إلى الدعايات التي تنادي بالسلام ليسكت الضعيف المغلوب على أمره وليتوزعوا الضعفاء أسلابا لمن يسبق إليها ، أو يجعلوها قسمة ضيزى بينهم .

ولا بد للاسلام وهو الدين الذي جاء لإيجاد مدنية فاضلة أن ينظم حربها وسلمها . وأن يجعل حربها في دائرة الفضيلة ، وهي الحرب التي لا اعتداء فيها من جانب المسلم ، ويتقيد فيها بقيود من الفضيلة والخلق القويم ، فلا يساير خصومه في انتهاك حرمات الأخلاق إن انتهكوها ، بل يدفعهم إلى احترامها بقوة الجلاد والجهاد . ثم لا بد أن تكون السلم التي يرتضيها هي السلم الفاضلة ، وهي السلم التي يقام فيها الحق ، وينشر فيها لواء العدل بين الأمم والجماعات ، وهي السلم العزيزة الكريمة التي لا يستذل فيها ضعيف ، ويؤمن فيها الخائف ، ويحمى فيها العائذ ؛ وأنَّى يكون ذلك إلا لمن رحم الله ، ولمن آمنوا بالحق ، ولكن الناس إلى يوم القيامة منهم من آمن ، ومنهم من كفر فلا بد إذن من شرعية الجهاد .

٩ — شرع الله الجهاد في الإسلام ، وأوجب الله على المسلمين في كل مشارق الأرض ومغاربها أن يتعاونوا جميعاً على كل من يعتدي على مؤمن أيا كان مقامه ، وأن يردوا كيد المعتدين على الأقاليم الإسلامية وأن ينبذوا إليهم عهودهم على سواء ، إن اعتدوا على إقليم إسلامي مهما تناءت الديار ، وتباعدت الأقطار ؛ فإن المسلمين جميعاً أمة واحدة كما قال تعالى : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » فسلمهم سلم واحدة وحربهم حرب واحدة ، والمسلمون كما قال الرسول تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وإذا كان أدنى الأمة الإسلامية يعقد الذمة عليهم ، وعضها إذ لا فرق بين صغير وكبير ، فكذلك من يعتدي على أحدهم فقد اعتدى عليهم ، ومن اعتدى على طائفة منهم فقد انتهك حماهم ، ومن اقتطع إقليما من أقاليم الإسلام فقد أعظم الاعتداء ، وعلى المسلمين جميعاً أن يتحفزوا للوثبة به ، وإلا فليعلموا أنهم ليس لهم من الإسلام حقيقته ومعناه ؛ لأن الإسلام دين الجهاد ، والجهاد فيه ماض إلى يوم القيامة ، وهو أوسع أبواب الجنة ، وهو سبيل الحياة الكريمة والموت العزيز .

١٠ — أيها المسلمون لقد نقض محمد صلى الله عليه وسلم عهد قريش لما اعتدوا على حلفائه ، ومن كانوا معه على ولاء ، والآن قد تضافرت أوربا وأمريكا ضد المسلمين ، أفلا يسوغ لكل جماعة إسلامية أن تنقض عهود كل دولة أوروبية اشتركت في إثم

الاعتداء على المسلمين ؛ إنها الدونية في الدين إن لم يفعلوا ، والهوان بالمسلمين إن سكتوا .

لقد أزالوا من رقعة الدولة الإسلامية أقليما وشردوا سكانه المسلمين ، وتركوهم عراة جائعين يأكلهم الحر والقر ، وهم يريدون بالأقاليم الأخرى المجاورة وبالا ، وبالإسلام كله خبالا ؛ ومع ذلك لا تزال الكثرة من المسلمين على ولاء مع المعتدين ، بل ذهب بهم فرط حسن الظن بهم أن يتكففوهم الطعام لمن أجاعوهم ، والمأوى لمن شردوهم !!

لقد أطمعنا والله هؤلاء الاعداء فينا ، فأخذوا يلتهموننا إقليما إقليما ، وفى الماضى كانوا يفرضون علينا الولاية بحكم الغلب والقهر ، حتى إذا رفضنا هذه الولاية وناوأناها ، أخذوا الآن يريدون لنا الفناء ، وقد ابتدأوا فأفنوا فلسطين ، كما أفنى الأسبان الأندلس جنة الإسلام وزهرة تاريخه .

١١ — أيها المسلمون : إن مصر كنانة الله فى أرضه فى غلاب مع أشد الدول نكاية بالإسلام ، وقد أعلنها طاغوتها عليها حربا لا سلم فيها ؛ فأرعد وأبرق ، وهدد وأنذر ، ولكن مصر التى ضرب جيشها التتار فى أقفيتهم بعد أن حطمت صخرتهم ، وجعلتها جذاذاً فى عين جالوت ، وأنقذت الحضارة الإنسانية ، مصر التى هذا ماضيها الغابر ، وهي التى ناوأته غداة خرج يفرض إرادته على العالمين ، مصر التى يتلاقى حاضرها الزاهر بماضيها الباهر تعد العدة ، وتأخذ الأهبة ، وتجتمع فيها القلوب وتستعد للنضال مؤمنة بالله ، وبأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

وهي لا تريد من سائر المسلمين أن يجاهدوا جهادها ، ولكن تريد منهم أن يقاطعوا من يقاتلها ، وأن ينبذوا كل عهد له ؛ وألا يعاملوه ، وأن يضربوا عن متاجره ، وأن يعتزلوه ، كما اعتزل الذين خلفوا فى الأرض حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ؛ فعندئذ يعلم أنه يلاقى خمسمائة مليون لا عشرين مليونا ؛ وأنه أمام قوة مجتمعة لا أمام قطيع يأكله شاة ، شاة .

إن مصر المجاهدة الصابرة المؤمنة ستلاقى عدوها كيفما كانت الحال ؛ لأنها تعلم علم اليقين معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « تضمن الله لمن خرج فى سبيلي ، لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلي ، وإيمانا بي وتصديقاً برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك والذي نفس محمد بيده لو لا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو أبداً ، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل » ، هذا هو شعار مصر اليوم .

تحديد الصلة بين عالم المادة وعالم الروح

لأبي نعمان المهاجر

فى طبيعة الإنسان فطرة نزاعة به إلى عالم روحى مجهول ، وهذه الفطرة متأصلة فى الإنسان منذ عهوده البدائية الأولى ، ولا تزال عريقة فيه ، ثابتة فى جبلته ، بعد أن تقدم فى مقدرته العقلية ، وبلغ فى حضارته إلى المدى البعيد. غير أن هذه الفطرة بدأت ساذجة كأى شىء إنسانى فى ذلك العهد البدائى القديم ، ولقد كانت الوثنية مظهرا من مظاهر هذه الفطرة ، ولكنه مظهر منحرف شاذ لجأ الإنسان إليه حينما عميت عليه السبل ، واشتدت به الحيرة وعظم به الشوق للاطلاع على الحقيقة الكونية الكبرى ، وهذا ليس بالأمر العجيب ، فإن من المعروف المشهور أن الإنسان حينما يحب الشىء أو يهيم به ويتطلع إليه يظل فى وهلات عجيبة من الأوهام والتخرصات ، ويخيل إليه أن أشياء كثيرة تشير إلى حبيبه ، أو ترمز إليه أو تتحدث عنه ، وهكذا فالوثنية كانت شيئاً من هذا القبيل ، فكان لابد للمشيئة الإلهية الحكيمة أن تنقذ العقلية الإنسانية الوالهة من هذا التخبط ، فابتعث الله أنبياءه يقدمون للانسانية رسالة التوحيد ، ويقومون الفطرة النزاعة إلى العالم الروحى ويضعون لها المنهاج الصحيح ، ويخرجونها من الظلمات إلى النور حتى يبلغوا بها إلى درجة الكمال .

إن هذه الفطرة المتأصلة فى الإنسان قوة من القوى الإنسانية العظيمة الكامنه والتى لابد أن تظهر فى أى شكل من الأشكال ؛ لأنها حقيقة أزلية تعيش ما عاش الإنسان ، وهى كسائر القوى الإنسانية إذا انحرفت عن وجهتها الصحيحة انقلبت إلى عكس الحكمة من وجودها وتقديرها فأساءت إلى الجنس البشرى ، وانحطت بمستواه ، وعطلت كثيراً من مواهبه وحالت بينه وبين السير فى طريق التطور المنشود

وإذاً : لابد للانسان من الإيمان بالحقيقة الكونية الكبرى ، ولا بد أن يكون هذا الإيمان من القوة والوضوح والحرارة بحيث يكون هو المسيطر على الحياة ، الباعث للمواهب الموجه لكل خطرة من خطرات الإنسان ، الكامن فيها كمون الروح وراء حركات الجسم الحى ، فإذا حاز الإنسان هذا النصيب الأوفى من الإيمان فقد بلغ درجة الكمال ، لأنه يضمن الاستقرار فى عقيدته وسلوكه ويضمن لنفسه السعادة والطمأنينة ولمجتمعه الانسجام والأمن والسلام ، غير أن هذا الإيمان الكامل لم يتوفر على حقيقته لشعب من شعوب الأرض إلا فى فترة قليلة من التاريخ الإنسانى ، وهى فترة تاريخ العصر الإسلامى الأول وهذه الفترة وإن كانت قصيرة بالنسبة إلى عمر الإنسان الطويل فحسبها

أنها اكتشفت نماذج رائعة لمجتمع إنسانى مثالى ليس فى منطق العقل ، ولا منطق الحضارة الحديثة ما يمنع من قيامه فى الوجود مرة أخرى ، بل إن المنطق كله يحتم قيامه ، ويجعله أمراً لا محيص منه ، وفيما سوى هذه الفترة فإن الإنسان كان وما يزال ممسوخ الفطرة ، منحرف الوجدان ، مسخرة قواه العظيمة للأغراض الأثيمة .

لقد توزع استعداده الذى كان مركزا فى الإيمان بإله واحد ، والخضوع لإله واحد ، فوقع تحت طائلة الإيمان الخرافى بما لا يعد ولا يحصى من الآلهة والأرباب ، وأصبح مستعبدا لكثير من الضرورات ، ذليلا إزاء كثير من المخلوقات ، وبذلك تمزقت قوته الروحية وشذت وشوهت أيما تشويه ، وفقد السعادة الحقيقية والطمأنينة ، واتجه إلى الشر والعدوان والتناحر .

ذلك لأن القوى المتألهة فى المجتمع الإنسانى سواء كانت قوى الأشخاص أو العقائد أو المبادئ أو الأغراض والأهواء هذه القوى استغلت فطرة الإنسان واستعداده للخضوع والعبودية ، ووضعت نفسها فى المكان الذى ما كان ينبغى أن تكون فيه إلا إرادة الله ؛ فاستعبدت الإنسان وأذلته وانحطت بمستواه .

ولما كانت هذه القوى المتألهة متعددة كان لا بد أن تختلف وأن تتناقض ، وأن تسيطر كل قوة منها على مجموعة من البشر تسخرهم لوجهتها ، وتستعبد ضمائرهم فترى هذه المجموعات البشرية تستميت من أجل المبادئ المتألهة المصنوعة ، وتلاقى فى سبيلها مالا يمكن تصوره من الأهوال والآلام ، والمتاعب الجسام دون أن تتراجع أو تتردد .

وإنما أدى التعدد لهذه القوى المتألهة إلى النزاع والتصادم لأن كل قوة تعتد بنفسها وتتأله ، ولا تطيق التراجع بأية حال من الأحوال ، ولأجل ذلك ارتكس العالم فى هذه الحروب الطاحنة ، وصدق الله العظيم : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » فلا علاج للانسانية إلا إذا خضعت مجموعاتها قاطبة للحقيقة الإلهية الكبرى ، وجعلت شريعتها هى المثل الأعلى ، ورفعت قيمة الفرد الإنسانى ، ونزهته من الخضوع لأية قوة غير قوة الله ، وأية شريعة غير شريعته ، وهذا هو جوهر الرسالة الإسلامية وروحها ولبابها ، وفى الإشارة إلى ذلك يقول إقبال :

سجدة للاله تنجيك يا إنـ ـسان من ألف سجدة للعبيد !

* * *

ومن هذا كله نعرف أن النزعة إلى عالم الغيب فطرة إنسانية أصيلة طبع الله الإنسان عليها لتربط عالم المادة المنظورة بعالم الروح المحجوب ، وأن الإنسان أخطأ فى تفسير هذه النزعة ، واصطنع الآلهة الزائفة فى الرمز إليها ، وكان من مقاصد الشرائع السماوية تقويم هذه النزعة ، وتنظيم الصلة بين عالم المادة وعالم الروح على أساس الإيمان بإله واحد ، « لا إله إلا هو تعالى عما يشركون » !

مجتمع عالمي

للأستاذ سيد قطب

(٣)

والإسلام تبعاً لفكرته هذه عن الديانات المختلفة ، وتمشيا مع نزعته العالمية ، لايبت الصلة بينه وبين من لايؤمنون به مادامو الايحاربونه ، ولايمنعون دعوته أن تبلغ الناس ، ولا يفسدون فى الأرض ، ولا يعتدون على الضعفاء ؛ بل يفسح للداخلين فى سلطانه مجال الحياة كاملا ، ويفسح لمن لاسلطان له عليهم مجال التعاون العالمى فى الخير والصلاح . ويحسن أن نقول كلمة عن نوع العلاقات بين المجتمع الإسلامى وبين كلا الفريقين ممن لايدينون بدين الإسلام .

فأما الداخلون فى سلطانه فهم الذميون — أى الذين أعطاهم الإسلام ذمته أن يحميهم ويدفع عنهم كل اعتداء خارجى ، وأن يكفل لهم فى الداخل حرمة أرواحهم وأموالهم وعقائدهم ، ويحرس لهم معابدهم ، ويسمح لهم بمزاولة نشاطهم الاجتماعى والاقتصادى فى الحدود التى لا تفسد نظام المجتمع ، ولا تعارض أسسه الأخلاقية المقررة — كل أولئك فى مقابل ضريبة الجزية للحكومة الإسلامية .

ولابد من كلة عن « الجزية » فإن هناك لغطا كثيراً حولها ، ينشئه الجهل بحقيقتها ، أو الغرض فى طعن الإسلام عن طريقها .

لقد فرض الإسلام الزكاة على كل مسلم يملك ما يقابل من عملتنا الحاضرة نحو اثنى عشر جنيها فما فوقها ، كما فرض الجهاد — أى ضريبة الدم — على كل قادر ، لحماية الفكرة الإسلامية ودفع الظلم والجور عن الناس جميعاً ومنهم الذميون ، ولما كانت الزكاة والجهاد عبادتين إسلاميتين ، فضلا على أنهما ضريبتان فى النفس والمال لم يشأ الإسلام أن يكلف بهما أهل الذمة ، لأنهم لايدينون بالعقيدة الإسلامية التى تفرض هاتين العبادتين . وبدلا من ضريبة المال وضريبة الدم فرض على الذميين الجزية ؛ وهى فريضة مالية بحتة لاظل فيها للعبادة .

كذلك يجب أن يلاحظ أن الزكاة مفروضة على المسلمين رجالا ونساء ، كما أنها

مفروضة فى مال الصبى يخرجها وليه عنه أما الجزية فمفروضة على الرجال وحدهم دون النساء والأطفال . وهى ثابتة فى الغالب فى ثلاث فئات بينما الزكاة تتبع درجة الثراء إلى غير حد . وقد كانت الجزية تؤخذ ثمانية وأربعين درهما فى العام من الموسر ، وأربعة وعشرين درهما على الوسط ، واثنى عشر درهما على الصانع ومن فى حكمه . ولا تؤخذ الجزية من المسكين الذى يتصدق عليه ، ولامن أعمى لا حرفة له ولا عمل ، ولامن مقعد ، وكذلك المترهبون فى الأديرة ما لم تكن لهم أموال خاصة ، وكذلك أهل الصوامع[1] .

والذى لاينتفع فى مقابل أداء الجزية بمجرد الحماية الخارجية والداخلية ، بل ينتفع كذلك بالكفالة الاجتماعية التى يفرضها الإسلام لغير القادرين على الكسب ، سواء كانوا أطفالا أم مرضى أم عجزة أم شيوخا . والإسلام يفرض لهؤلاء جميعاً ما يكفيهم ، دون نظر إلى جنسهم أو لونهم ، ودون نظر إلى دياناتهم كذلك . والسوابق الإسلامية تؤكد هذا المبدأ الإنسانى العظيم :

(رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، شيخاً ضريراً يسأل على باب ، فسأل ، فعلم أنه يهودى ، فقال له : ما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : اسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب به إلى داره ، فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال : انظرهذا وضرباءه ، فوالله ماأنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم . « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » [2] وهذا من مساكين أهل الكتاب[3]) .

ولما سافر إلى دمشق مر بأرض قوم مجذمين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات ، وأن يجرى عليهم القوت[4] .

وهكذا ترتفع روح الإسلام بعمر إلى هذا الأفق الإنسانى منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا ، فيجعل الكفالة الاجتماعية حقا إنسانيا لايتعلق بدين ولا ملة ، ولا تعوقه عقيدة ولا شرعة .

كذلك تثبت السوابق التاريخية أن المسلمين ردوا الجزية إلى بعض من حصلوها منهم ، لأنهم عجزوا عن حمايتهم ، وقد رد أبو عبيدة بن الجراح — رضى الله عنه — إلى أهل الشام جزيتهم حينما بلغه أن الروم قد جمعوا له ، فكتب إلى أمراء المدن التى

---

(١) عن كتاب الخراج لأبى يوسف . (٢) التوبة - ٦٠
(٣) عن كتاب الخراج لأبى يوسف . (٤) عن كتاب الدعوة الى الإسلام تأليف سير ت . و . أرنولد.

ثم الصلح معها أن يردوا على أهلها ماجبى منهم وأن يقولوا لهم : إنما رددنا عليكم أموالكم ، لأنه قد بلغنا ماجمع لنا من الجموع ، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا ، إن نصرنا الله عليهم[1] .

بقى نص قرآنى يرتكن عليه الطاعنون فى الإسلام ، كأنما عثروا على حجة لاتدفع ، وطعنة لا ترد !

« قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ، ولا يُحرِّمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يَدِينون دينَ الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يَدٍ وهم صاغرون »[2] .

وفى النص ذاته حجته . ذلك أنه حدد « الذين أوتوا الكتاب » الذين أوجب قتالهم فهم « الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق » فهم على هـذا الوصف كفار ، ولو أنهم محسوبون من أهل الكتاب باعتبار ما كانوا . فليس هناك أحد لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، ثم يبقى له وصف أنه مسيحى أو يهودى ، أو من أهل دين سماوى على الإطلاق فالأمر بقتال هذا الصنف من الناس هو أمر بقتال كفار فى الحقيقة وإن كانوا من أهل الكتاب فى الظاهر . وعلى ذلك يرد حكمهم إلى حكم الكفار ، فيقاتلون عندما يعتدون ، حسب الدستور الإسلامى فى المحاربة والمهادنة — وسيجىء ذكره بعد قليل — ومع هذا يتسامح الإسلام معهم فيعتبرهم أهل كتاب حسب ظاهر الأمر ، فيقبل منهم — فى حالة اعتدائهم ودفع المسلمين لهم وانتصارهم عليهم — أن يؤدوا الجزية فى حين لا يقبلها من الكفار فى مثل هذه الحالة . والقصد من فرض الجزية واضح فى الآية كذلك ، وهو إعلان التسليم والمسالمة ، وترك الاعتداء ، والتمكين لحرية الدعوة ، جزاء وفاقاً على الاعتداء ومصادرة الدعوة ، ومطاردة المؤمنين بها ، والظلم فى الأرض والفساد .

وكذلك نرى أن ضريبة الجزية ليست فى الصورة الظالمة الغاشمة المعتمة التى يحاول بعض المغرضين والطاعنين فى عدالة الإسلام أن يصوروها . ولا نحب أن نعقد موازنة بينها وبين الغرامات الحربية التى يفرضها المنتصرون فى القرن العشرين ، لأننا نرى دائماً أنه لا يجوز عقد مثل هذه الموازنات ، لأن نظم العالم الغربى وسلوكه ليست حجة ، ووقوع ما يقع فى القرن العشرين لا يصلح مبرراً لتصرفات الإسلام . فهذا العالم هابط حين يقاس إلى آفاق الإسلام الرفيعة والذين يحاولون تبرير بعض التصرفات الإسلامية

(١) عن كتاب الخراج لأبى يوسف .
(٢) التوبة — ٢٩

من كتابنا المعاصرين بأن نظائر هذه التصرفات تقع فى القرن العشرين ، إنما يقرون بالهزيمة الشعورية أمام النظم الغربية فيحسبون أنهم يقدمون للاسلام حجة أو سنداً ، والإسلام غنى عن مثل هذه المعاذير .

وكما أن الإسلام يلاحظ فى فرض الجزية ألا يجبر الذميين على عبادة من عبادات المسلمين كالزكاة والجهاد ، كذلك هو يلحظ هذا فى نشاط الذميين الاقتصادى داخل المجتمع الإسلامى ، فيبيح لهم من الأموال والمعاملات ما يحرمه على المسلمين فى بعض الأحيان . من ذلك أنه يحرم على المسلم الخمر والخنزير أكلا وامتلاكا وتجارة ؛ ومن ثم فهو لا يعدها مالا بالقياس إلى المسلم ، فلو سرقت أو نهبت لم يعاقب سارقها أو ناهبها ، ولو عدمت تحت يد الضامن لها ضاعت هدراً ولم يغرم . . هذا إذا كانت لمسلم . فأما إذا كانت لذمى فسارقها أو ناهبها يعاقب ، وضامنها يغرم ، لأنها مباحة عند الذمى ، فالإسلام يحفظها عليه ، ولا يتدخل فى عقيدته .

والإسلام لا يكفل لأهل الذمة دماءهم فقط كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة[1] » ، ولا أموالهم وحرياتهم فقط « من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه[2] » ، ثم يدعهم فى عزلة اجتماعية ، مكتفياً بحماية أرواحهم وأموالهم وحرياتهم .. كلا ! إنما هو يفسح لهم فى رحابه وبين أهله أن يعيشوا مواطنين محترمين ، تربط بينهم وبين المسلمين صلات المودة ، والتبادل الاجتماعى ، والمجاملات العامة ، فلا يعزلهم فى أحياء خاصة ، ولا يكلفهم أعمالا خاصة ، ولا يمنعهم الاختلاط بالمسلمين — على نحو ما يمنع البيض والسود فى أمريكا ، والملونين فى جنوب أفريقيا !

إن الذميين فى الإسلام يودون ويوادون ، ويعيشون فى جو اجتماعى طلق ، يدعون إلى ولائم المسلمين ، ويدعون المسلمين إلى ولائمهم ، ويتم بينهم ذلك التواد الاجتماعى اللطيف :

« اليومَ أحلّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتابَ حلّ لكم وطعامكم حل لهم[3] » . ويحسن كذلك أن أسوق الحادثة التالية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهى ذات دلالة خاصة على المشاعر التى تجيش فى نفس المسلم الأول تجاه الذميين :

عن جابر بن عبد الله قال : « مرت بنا جنازة فقام النبى وقمنا . فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودى . فقال : أو ليست نفساً ؟ إذا رأيتم الجنازة فقوموا[4] » .

---

(١) أخرجه البخارى . (٢) ذكره أبو يوسف فى الخراج .
(٣) المائدة — ٥ . (٤) أخرجه البخارى .

إنه الشعور المبرأ من كل عصبية ، حتى عصبية الدين ، وإنه الأفق الإسلامى السامق الذى يعيى المتطلعين ! وأحب قبل أن أختم الحديث فى هذه النقطة أن أثبت فقرات من كلام رجل مسيحى أوربى عن دعوة الإسلام فى هذا المجال : جاء فى كتاب « الدعوة إلى الإسلام » تأليف سير ت . و . أرنولد وترجمة إبراهيم حسن وزميله ص ٥٤ :

« لما ضربت دمشق المثل فى عقد صلح مع العرب سنة ٦٣٧ م ، وأمنت بذلك السلب والنهب ، كما ضمنت شروطاً أخرى ملائمة . . . لم تتوان سائر مدن الشام أن تنسج على منوالها ، فأبرمت حمص ومنبج وبعض المدن الأخرى معاهدات قد أصبحت بمقتضاها تابعة للعرب ، بل سلم بطريق بيت المقدس هذه المدينة بشروط مماثلة . وإن خوف الروم من أن يكرههم الامبراطور الخارج على الدين على اتباع مذهبه ، قد جعل الوعد الذى قطعه المسلمون على أنفسهم بمنحهم الحرية الدينية أحب إلى نفوسهم من ارتباطهم بالدولة الرومانية وبأية حكومة مسيحية ؛ ولم تكد المخاوف الأولى التى أثارها نزول جيش فاتح فى بلادهم تتبدد حتى أعقبها تحمس قوى لمصلحة العرب الفاتحين .

« أما ولايات الدولة البيزنطية التى سرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم ، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة ، بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية النسطورية ؛ فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد . اللهم إلا إذا استثنينا بعض القيود التى فرضت عليهم منعاً لإثارة أى احتكاك بين أتباع الديانات المتنافسة ، أو إثارة أى تعصب ينشأ عن إظهار الطقوس الدينية فى مظهر المفاخرة حتى لا يؤذى ذلك الشعور الإسلامى . ويمكن الحكم على مدى هذا التسامح الذى يلفت النظر فى تاريخ القرن السابع من هذه العهود التى أعطاها العرب لأهل المدن التى استولوا عليها وتعهدوا فيها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم ، وإطلاق الحرية الدينية لهم ، فى مقابل الإذعان ودفع الجزية » .

ثم يقول فى ص ٥٨ :

« ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين — كما يريدنا بعض الباحثين على الظن — لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام ، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة ، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة فى الجيش ، فى مقابل الحماية التى كفلتها لهم سيوف المسلمين . ولما قدم أهل الحيرة المال المتفق عليه ، ذكروا صراحة أنهم دفعوا هذه

الجزية على شريطة : « أن يعنونا وأميرهم البغى من المسلمين وغيرهم ، وكذلك حدث أن سجل خالد فى المعاهدة التى أبرمها مع بعض أهالى المدن المجاورة للحيرة قوله : « فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا » .

ثم ذكر حادثة أبى عبيدة التى أثبتناها ، ومضى فقال :

« وقد فرضت الجزية كما ذكرنا على القادرين من الذكور مقابل الخدمة العسكرية التى كانوا يطالبون بأدائها لو كانوا مسلمين .

« ومن الواضح أن أية جماعة مسيحية كانت تعفى من أداء هذه الضريبة إذا مادخلت فى خدمة الجيش الإسلامى . وكان الحال على هذا النحو مع قبيلة الجراجمة ، وهى قبيلة مسيحية كانت تقيم بجوار أنطاكية ، سالمت المسلمين وتعهدت أن تكون عوناً لهم ، وأن تقاتل معهم فى مغازيهم على شريطة ألا تؤخذ بالجزية ، وأن تعطى نصيبها من الغنائم ، ولما اندفعت الفتوح الإسلامية إلى شمال فارس فى سنة ٢٢ هـ ، أبرم مثل هذا الحلف مع إحدى القبائل التى تقيم على حدود هذه البلاد ، وأعفيت من أداء الجزية فى مقابل الخدمة العسكرية » .

وقد مضى هذا الرجل المسيحى فى ضرب الأمثلة من هذا النوع فى العصور المتأخرة ، إلى أن قال ص ٥٩ :

« ومن جهة أخرى أعفى الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية ، على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام ، وفرضت عليهم الجزية (١) فى نظير ذلك كما فرضت على المسيحيين » .

مما يثبت بصفة قاطعة صفة الجزية على النحو الذى قررناه من قبل ، ويبطل كافة الترهات الباطلة التى يثيرها المغرضون حول هذه المسألة بصفة خاصة ، وحول علاقات الإسلام بمخالفيه فى العقيدة ممن يعيشون فى كنفه وتظللهم رايته وعدالته .

فأما الذين لم يدخلوا فى سلطان الإسلام من أهل الديانات الأخرى ، بل حتى ممن ليس لهم دين ، فالإسلام لايعاديهم ولا يقاطعهم ولا يحاربهم ، إلا أن يبدأوا هم بالعدوان على المسلمين أو غير المسلمين . ونظامه يسمح بالتعاون الإيجابى معهم عن طريق المعاهدات التى يحترمها الإسلام كل الاحترام .

ولقد عقد النبى صلى الله عليه وسلم معاهدات كثيرة ، كان الكفار أنفسهم طرفاً

---

(١) البدل العسكرى .

فيها فى بعض الأحيان ، وحافظ عليها كل المحافظة ، ولم يسمح بنقضها إلا بعد أن نقضها الطرف الآخر ، والنصوص القرآنية حاسمة فى المحافظة على المواثيق وهذه مسألة هامة تستحق أن نقف عندها وقفة قصيرة :

إن الدستور الإسلامى فى العلاقات الدولية يلخصه النص التالى :

« لا ينهاكمُ اللهُ عن الذين لم يقاتلوكم فى الدّين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحبُّ المقسطين . إنما ينهاكمُ اللهُ عن الذين قاتلوكم فى الدّين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهرُوا على إخراجكم ، أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »(١) .

وعلى هذا الدستور يتعامل مع الناس أجمعين . وهو يؤثر المودة على العداوة حتى مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء ، استحياء للمودة الإنسانية ، وتوثيقاً للروابط البشرية ، فقبل هذا النص يرد نص آخر هو :

« عسى اللهُ أن يجعلَ بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّةً ، واللهُ قديرٌ ، واللهُ غفورٌ رحيم »(٢) .

أما الوفاء بالعهد فالنصوص فيه كثيرة نجتزىء بالقليل منها :

« وأوفوا بعهدِ اللهِ إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الأيمانَ بعد توكيدها ، وقد جعلتم اللهَ عليكم كفيلا إن اللهَ يعلمُ ما تفعلون، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعدِ قوةٍ أنكاثاً ، تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكونَ أمةٌ هى أربى من أمة »(٤) .

فهنا يحتم الإسلام الوفاء بالعهد ، وعدم نقضه ، ويحذر من الخديعة والدّخل فى المواثيق ، بغية أن تكون أمة هى أربى من أمة . فهذا العذر الذى يعتذر به الساسة الكذبة الخداعون ، وهو مصلحة « الدولة » لا يعترف به الإسلام ، ولا يراه مبرراً للخديعة والدخل فى العهود ، ولا فى نقض المعاهدات والمواثيق ؛ وحتى حين يستنصر المسلمون إخوانهم المسلمين ليجاهدوا معهم فى الدين فإن هذا لا يبيح لإخوانهم نقض العهد الذى سبق له الأداء ، مادامت شروطه مصونة من الأعداء : « وإن استنصروكم فى الدين فعليكمُ النصرُ إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » . . . . وهى قمة فى الوفاء بالعهد تقصر دونها الكلمات .

---

(١) الممتحنة — ٨ ، ٩ .
(٢) الممتحنة — ٧ .
(٣) النحل — ٩١ ، ٩٢

ولم تكن هذه مُثلا نظرية ، ولا مبادئ مثالية ، إنما كانت سلوكا واقعيا فى حياة المسلمين ، وفى صِلاتهم الدولية . والأمثلة على ذلك كثيرة من الواقع التاريخى فى الإسلام ، نجتزئ منها ببعضها فى هذا المقام :

قال حذيفة بن اليمان : ما منعنى أن أشهد بدرا ، إلا أننى خرجت أنا وأبو الحسيل ، فأخذنا كفار قريش فقالوا : إنكم تريدون محمدا . فقلنا ما نريده وما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق إلى المدينة ولا نقاتل معه . فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر ، فقال : « انصرفا : نفى بعهودهم ونستعين الله عليهم » .

وقال أبو رافع مولى رسول الله : بعثتنى قريش إلى النبى ، فلما رأيت النبى وقع فى قلبى الإسلام فقلت : يارسول الله لا أرجع إليهم . قال : « إنى لا أخيس بالعهد ، ولا أحبس البرد ، ولكن ارجع إليهم ، فإن كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجع » .

« وحينما كان سهيل بن عمرو يفاوض النبى — صلى الله عليه وسلم — فى صلح الحديبية — وبينما كان يكتب عهد الهدنة وقبيل توقيعه — جاءه أبو جندل بن سهيل يرسف فى الأغلال ، وقد فر من الكفار . فلما رأى سهيل ابنه قام وأخذ بتلابيبه وقال : يامحمد لقد لجت القضية بينى وبينك (يعنى انتهى الجدل فيها ووضحت) فقال محمد : صدقت . فقال أبو جندل : يامعشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ فلم يغن عنه ذلك شيئاً ، ورده رسول الله وفقاً للشروط التى اتفق عليها ، وإن كان بعد لم يوقعها » .

الله وحده

كتب معاوية إلى عائشة لتوصيه وترشده فأرسلت إليه تقول :

سلام عليك ، أما بعد فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضاء الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن التمس رضاء الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس » .

خاطرة :

القيادة الخالدة

أشرق وجه النبوة على الأرض : يحمل فى تقاسيمه معالم تاريخ جديد ، ويجمع فى ميلاده ميلاد أمة بأسرها ، نبعت من قلبه ، ودرجت بين يديه ، ودفعتها يده المباركة فى التاريخ دفعة البطل القاهر . . . دفعة فيها جلال الروح وبأس العقيدة وروعة المثل الأعلى . . . أمة بدأت بمحمد وحده فى فيافى الجزيرة : يسفه آلهتها ، ويندد بخرافاتها ويدعوها إلى الله ، وهى اليوم بين يدى ذكراه : مئات من الملايين تملأ شرق الدنيا وغربها ، تهتف باسمه مع اسم الله ، وتنشد فى رسالته نوراً يبدد حلكة هذا الزمان .

إن كلمة «النبى» أو «النبوة» التى ألف الناس ترديدها كلمة عزيزة لو عقل الناس معناها . . وهى وحدها الكلمة التى ترد إلى حياتهم ميزانها الصحيح . . وأمنها وهناءتها

النبوة معناها : أن إنسانا تتناوله يد الله بالرعاية والتوجيه ، فتجلو جوهره ، وتمنع عنه كل شائبة ، ثم تسكب فيه أنوار الحقيقة العليا لتأخذ منه توبها البشرى : تنظر بعينيه ، وتتكلم بلسانه ، وتبطش بيده ، وتروح به وتغدو فى لحم ودم .

والنبى ، (ولله المثل الأعلى ولرسوله) ، جهاز استقبال يتلقى موجات الملأ الأعلى بما فيه من سر صادق « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » ، ليرسله للناس بعد ذلك سهلا بيناً على قدر ما يعقلون ويطيقون « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » فالنبى فى استقباله للوحى سماوى المعدن ، وفى إرساله للناس بشرى الأداة ، وهو بين هذين عالم وحده ؛ فبينا تراه عالياً عالياً عالياً عند سدرة المنتهى : حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى تجده فى ذات الوقت — وهذا هو موضع الإعجاز فى قيادة الأنبياء — قريباً قريباً قريباً ، يعيش بين أصحابه كأنه واحد منهم ، ويتفاعل مع الحيـــاة فى كل نواحيها : إذا جالس أقبل على جليسه بكل وجهه ، وإذا صافح لا يكون أول من يقبض يده ، وإذا تعامل كان أدق الناس معاملة ، وإذا قضى كان أعدل الناس قضاء ، وإذا قاتل لم يقم له أحد . . . وهو من حيث نظرت إليه معتدل الأمر غير مختلف . كذلك كان صلى الله عليه وسلم ، وكذلك هو فى سيرته المشرقة المحفوظة فى مكتبات المسلمين ، حفظها الله لكل مسلم يريد أن يعرف نبيه ، ويتتلمذ عليه ، ويأخذ مكانه فى ركب الحق ، وقافلة الوحى . . . إلى حيث يحب الله ويرضى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

من فقه القرآن والسنة

شروط البيع

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

(٤)

قد يتحقق فى البيع الشروط التى سبق لنا أن تكلمنا عنها ؛ فقد يكون المبيع مملوكا للبائع ، ويكون موجوداً تحت يده ، وليس فى العقد رباً على أى لون من ألوانه . ومع ذلك كله ، فقد يكون العقد غير صحيح من نواح واعتبارات أخرى من الشريعة نفسها ، وهذا ما يجعلنا نرى مع الفقهاء توفر شروط أخرى فى العقد ليكون صحيحاً شرعا ، ونتكلم فى هذه الكلمة عن شرطين آخرين ، وهما : حل موضوع العقد ، وحل الثمن .

حل موضوع العقد :

وهنا ، نبدأ باستعراض بعض الآيات والأحاديث التى وردت فى هذا الشأن :

١ — يقول الله تعالى (فى سورة المائدة م ٥ — ٩١) : « يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

٢ — ويقول جل ذكره (نفس السورة آية ٣) : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب » .

٣ — وقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما رواه البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله : « إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » ، فقيل يا رسول الله ! أرأيت شحوم الميتة ، فإنها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ! فقال : « لا ، هو حرام » ثم قال الرسول عليه الصلاة والسلام عند ذلك : قاتل الله اليهود ، إن الله لما حرم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه »[1] !

---

(١) يستصبح : يستضىء ، جملوه : أذابوه واستخرجوا دهنه ، والحديث فى الجزء الثانى ص ١٧٢ من كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ؛ وانظره فى صحيح مسلم بشرح النووى ج ٤ : ٤٩ ، وهذا الحديث كان عام الفتح أى فتح مكة الذى كان فى رمضان عام ثمان من الهجرة .

٤ — وروى الشيخان أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بلغ عمر أن فلانا [١] باع خمرا ، فقال : قاتل الله فلانا ، ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها » !

٥ — وروى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية خمر ، فقال له : « هل علمت أن الله قد حرمها » ؟ قال : لا . فسارّ إنسانا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بم ساررته ؟ » فقال : أمرته ببيعها ، فقال : « إن الذى حرم شربها حرم بيعها » ، قال ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها [٢] .

٦ — وروى أبو سعيد الخدرى ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالمدينة ، قال : « يأيها الناس ! إن الله تعالى يعرض بالخمر [٣] ، ولعل الله سينزل فيها أمرا ، فمن كان عنده شىء منها فليبعه ولينتفع به » قال : فما لبثنا إلا يسيرا حتى قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى حرم الخمر ، فمن أدركته هذه الآية [٤] وعنده منها شىء فلا يشرب ولا يبع » . قال : فاستقبل الناس بما كان عندهم منها فى طريق المدينة فسفكوها [٥] .

* * *

ومن جماع تلك الآيات والأحاديث نأخذ نصاً أن الخمر والميتة ومنها شحومها ، وكذلك الدم وما يصنع منه من مأكولات ، والخنزير — كل ذلك محرم تناوله وبيعه وشراؤه . ولكن ، ما علة هذا التحريم ؟ أهى النجاسة أو عدم وجود منفعة مقصودة من الشارع فى كل ذلك ، كما يقول الشافعية ومن وافقهم ؟ أو هى مجرد نهى الشارع كما يقول آخرون ؟ ولكن لنا أن نتساءل أيضاً ـ إن ذهبنا إلى هذا الرأى الأخير ـ عن علة هذا النهى من المشرع .

ثم إذا كانت العلة هى النجاسة ، أو أنه ليس فيها منفعة مباحة يقصدها المشرع ،

(١) وفلان هذا ، هو سمرة بن جندب ، كما جاء فى صحيح مسلم بشرح النووى ج ٤ : ٥٠ .

(٢) مسلم بشرح النووى ، ج ٤ : ٤٨ — ٤٩ . والمزاد جمع مزادة ، وهى إناء من جلد يكون فيها الماء ونحوه كالذى نعرفه بالزمزمية .

(٣) أى فى آية ٢١٩ من سورة البقرة : « يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما » .

(٤) رقم ٩١ من سورة المائدة : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، ج ٤ : ٤٧ — ٤٨ .

هل يجب أن يلحق بالخمر كل ما كان كذلك فى أنه لا يجوز بيعه ؟ مثل روث البهائم ونحوها ، والحيوانات الضارية التى لا ينتفع بها فى الاصطياد مثلا ، والحشرات التى لا منفعة يصح أن نقصدها منها[١] .

على أن من الواجب فى رأينا تجويز بيع روث البهائم ونحوها ، فإنه ينتفع به وقوداً وسماداً كما هو معروف ، وهذا ظاهر على رأى من يجعل علة تحريم بيع الخمر ونحوها عدم وجود منفعة مقصودة منها ! وعلى رأى من يجعل العلة هى النجاسة ، يكون الحكم بعدم الجواز مقصورا على ما ليس منه منفعة حقيقية ؛ وبهذا قال بعض العلماء ، أى بعدم تعدية الحكم إلى كل ما هو نجس[٢] .

وبعد هذا وذاك قد فهم بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ، أن التحريم فى الخمر هو تحريم تناولها ، لأنها تراد أولا وبالذات له . كما كان من الذى أهدى الرسول راوية خمر ، فلما أخبره بتحريمها أمر غيره ببيعها على ما جاء بالحديث الثالث الذى رويناه آنفا ، فأفهمه النبى أن الله حين حرم شربها حرم بيعها أيضا . وهذا التحريم للشرب والبيع معا ، نراه نصا فى الحديث الرابع أيضاً .

وإذا كان هذان الحديثان يصرحان بأن المسلم منهى أيضا عن إمساك الخمر ، لما جاء فيهما من أن الذين كان عندهم شىء منها أراقوه فور علمهم بأن الله حرمها ، فإن لنا أن نتساءل مع ذلك : هل يجوز جعلها خلاً ؟ أى هل تغير صورتها من خمر إلى خل ، يجعل الانتفاع بها حلالا من هـذه الوجهة وإن كانت مادتها هى هى ؟ لأن المعروف من الفلسفة أن « المادة » تتعاقب عليها « الصور » المختلفة فيكون من ذلك وجود الأشياء وعدمها بحلول صورة محل أخرى .

وحين نحاول الإجابة عن هذا السؤال ، ينبغى أن نلاحظ أن الشارع حين حرم الخمر أراد تحريم الانتفاع بها على أى وجه . وجعلها خلا بصنع صاحبها مثلا ، معناه الانتفاع بها فى صورة أخرى فيكون ذلك حراما شرعا ، ولو كان هذا الصنيع يجعل الإفادة منها جائزة ، لأشار الرسول صلى الله عليه وسلم إليه بل لكان قد نصح به ، كما فعل حين توقع أن ينزل قرآن بتحريمها فحث من عنده شىء منها على الإفادة منه قبل أن ينزل القرآن بالتحريم .

---

(١) راجع النووى ، ج ٤ : ٤٨ ، ٥٠ ؛ فتح البارى ، ج ٤ : ٣٣٧

(٢) سبل السلام ، ج ٣ : ٤ — ٥ . وفيه أن الأدلة على نجاسة الخمر غير ناهضة ، وأن نهى الرسول هو علة التحريم . ولكنه لم يذكر سبب النهى ، وهو ما نعرف من أنها مذهبة العقل والمال بلا أى نفع حقيقى .

وإلى هذا الرأى ذهب كثير من الفقهاء ، ومنهم الشافعى وابن حنبل ومالك فى أصح الروايات التى رويت عنه وعلى حين ذهب آخرون ، ومنهم أبو حنيفة وفقيه مصر الليث بن سعد ومالك فى رواية أخرى ، إلى جواز الانتفاع بالخل حينئذ ، لأن هذا السائل تغير تماما وصار شيئاً آخر غير الخمر[١] .

ونحن ، نرى أنه لا بأس بتخليل الخمر للانتفاع بها باعتبارها خلا ، فقد صارت حقاً شيئاً آخر تماما لا يشرك الخمر فى صفاتها وخصائصها التى حرمت من أجلها . ونستطيع أن نستدل لذلك ، بطريق القياس ، بإباحة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه الانتفاع بجلد الشاة الميتة بعد دباغه الذى يطهر به ، مع أن الدباغ — وإن أذهب نجاسته — لم يجعله شيئاً آخر غير أنه جلد الميتة المحرم الانتفاع بها بنص الكتاب والسنة ، على حين أن الخمر متى انقلبت خلا ، تصير شيئاً آخر تماما كما قلنا ، وإذاً فلا يكون إثم بالانتفاع بالخل فى هذه الحالة كما لو صارت خلا بنفسها بلا صنع أحد .

وهنا ، علينا أن ننظر نظرة خاصة إلى الحديث الأول الذى ذكرناه فيما سبق ، وهو الحديث الذى ورد فيه سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شحوم الميتة التى ينتفع بها فى طلاء السفن ودهن الجلود والاستضاءة ونحو ذلك ، فقال الرسول : لا ، هو حرام ، ثم نعى على اليهود أن الله لما حرم عليهم شحم الميتة أذابوه وجعلوه دهنا ثم باعوه وأكلوا ثمنه .

إن مما يستوقف النظر بخاصة فى هذا الحديث ، أن إذابة الشحم ليكون دهنا ينتفع به فى وجوه مختلفة لم يغير من خصائص الشحم ، بخلاف صيرورة الخمر خلاً كما عرفنا ثم ما مرجع الضمير فى قول الرسول : هو حرام ؟ هل يرجع إلى الانتفاع بوجه من الوجوه التى ذكرها السائل ونحوها ؟ أم يرجع إلى البيع وحده ، فيبقى الانتفاع بغير البيع حلالا ؟

يرى الإمام الشافعى وأصحابه ، وبعض الفقهاء الآخرين مثل محمد بن جرير الطبرى ، أن الضمير يعود إلى البيع ، مستدلين بأن البيع هو مالام الرسول اليهود من أجله فى نفس الحديث ، وعلى هذا يجوز الانتفاع بشحم الميتة بغير البيع ، أى فى دهن الجلود والاستضاءة مثلا وغير ذلك مما لا يكون أكلا أو يدخل فى بدن الآدمى بأى وجه آخر .

ولكن جمهور الفقهاء يرون أن هذا الضمير يعود إلى الانتفاع بأى وجه كان ، ومنه البيع بلا ريب ؛ وإذاً ، فلا يصح فى رأيهم شرعا الانتفاع بشىء من الميتة لعموم

(١) يراجع النووى على صحيح مسلم ج ٤ : ٤٨

النهى ، ماعدا ماخصه دليل آخر وهو الجلد المدبوغ كما ذكرنا .[١]

على أننا نكاد لا نفهم كيف يبيح الشافعية ومن معهم الانتفاع بشحم الميتة بغير البيع ، ويحرمون الانتفاع بالخمر إذا جعلت خلا ، بينما شحم الميتة لم يفقد شيئاً من خصائصه بجعله دهناً ، على حين أن الخمر إذا جعلت خلا فقدت خصائصها كلها وصارت شيئاً آخر !

إن النظر المنطقى الفلسفى ، الذى يرى استحالة المادة من صورة لأخرى تجعلها شيئاً آخر له طبيعته وخصائصه التى تميزه عن غيره ، يقضى أن يبيح الشافعية الانتفاع بالخل الذى كان خمراً ، ما داموا أباحوا الانتفاع بدهن الميتة الذى كان شحما محرما ، اللهم إلا إن كان الفرق عندهم أن الدهن ينتفع به فى غير الأكل فلا يدخل بدن الإنسان ، على حين أن الانتفاع بالخل قد يكون بتناوله فى الطعام ؟[٢] .

حل الثمن :

نكتفى هنا بالإشارة إلى آية سورة النساء : « لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » فإن قوله تعالى « بالباطل » ، يفيد وجوب أن يكون الثمن أيضا عوضاً صحيحاً ومالا متقوما عند المسلمين ، وليس كذلك الخمر والخنزير مثلا ، فيكون جعل أحدهما ثمناً لا قيمة له ، ويكون المشترى قد تملك المبيع بغير مال أى بالباطل ، وذلك غير جائز شرعا .

« البحث موصول »

(١) وراجع النووى ، ج ٤ : ٤٩ — ٥٠ ، فتح البارى ج ٤ : ٣٣٦ — ٣٣٧ ؛ سبل السلام ، ج ٣ : ٥ — ٦ .

(٢) وراجع فى جواز أو عدم جواز بيع ما تنجس من الزيت والسمن والعسل وغيرها ، والانتفاع بها ، النووى ، ج ٤ : ٥٠ ، سبل السلام ، ج ٣ : ٦ وحده فى جواز ذلك فى شعر الميته وصوفها ووبرها .

الوطن لله

ألقى إلىّ البريد رسالة كريمة من قطر عربي عزيز ، تناول فيها مرسلها حديث الاثنين قبل الماضي بتعليق جميل ثم قال « ورغم أنى تأثرت أعمق التأثر بهذه المعانى إلا أننى أحب أن أكون صريحاً فأتساءل : هل معنى ذلك أنكم تنكرون الوطنية وأثرها ، مع أنها شيء طبيعي أحدث حركات ضخمة فى التاريخ ؟ وهل تظنون أن هناك أملاً فى عودة نفوذ الدين بعد أن بعدنا عنه هذا البعد فى كل مكان ؟ ؟ » ثم طلب أن يذاع الردّ تعميماً لفائدته .

الحق أنى فى حديثى السابق لم أتعرض للوطنية من هذه الناحية التى ذهب إليها المرسل الكريم ، ولكننى تناولتها من حيث صلتها بالدين ، وكنت إذ ذاك بصدد إثبات أن الوحدة الوطنية لا يصح أن تكون على حساب الدين ، ولا يمكن بذلك أن تتم لأن الدين أبعد أثراً فى قلوب الناس . والحق كذلك أنى لم أنكر الوطنية . . . وكيف أنكرها ؟ إن حب الوطن عاطفة لا يفقدها إلا فاقد حس تبلدت مشاعره ، وشعور طبيعي لا ينكره أحد ولا ينكَر على أحد وأيُّنا لا تتحرك نفسه حين يسمع حداء الحادى :

زفراتى طوفى سماء بلادى ... وانهلى من شعاعها الريان

أطفئى لوعتى بها واغمسى رو ... حىَ فيها وبرّدى أحـــانى

وطنى أنت نفحـــة الله ما تـ ... ـبرح لا عن قلبى ولا عن لسانى

أينا لا يخفق لذلك قلبه ؟

لا يا صاحبى ما إلى ذلك قصدت ، وإنما الذى عنيته : هو أن هذا الشعور الصادق عاطفة من عواطف النفس الكثيرة يجب أن يأخذ مداه ثم لا يتعداه . أن يحب الناس أوطانهم ويترنموا بها : أمر سائغ جميل ، أما أن يجعلوا هذه العاطفة المحدودة بحدودها فى كل قطر عاطفة الحياة ومركز الشعور ، وتستحيل هذه الأوطان الموزعة فى أرض الله أوثاناً يدور الناس حولها ، ويفسرون التاريخ لحسابها ، ويثيرون معارك الحيـــاة ابتغاء مرضاتها ، فهذا هو السم الزعاف الخطر ، وأخطر ما فيه : أنه يمس فى الناس شعوراً صادقاً يأخذهم به من حيث لا يشعرون ، ويدفعهم فى طريق متصل الحلقات : اسمه : طريق الوطن ، وشعاره : حب الوطن ، ومهمته : خدمة الوطن ، وهتافه : عاش

الوطن ، ومصير هذا الذى لا مفر منه : أنانية وطنية تستحكم فى أبناء كل وطن ، أنانية تصبح هى المثل الأعلى ، وميزان المنافع والمضار . أنانية تجعل الحدود المرسومة على خرائط الجغرافيا السياسية حدوداً فى أنفس الناس ، حدوداً تقوض العاطفة الإنسانية ، حدوداً ما أنزل الله بها من سلطان : حدوداً صنعتها فى التاريخ سيوف الفاتحين ولست أدرى كيف تسيغ عقول النـاس أن تتحكم السيوف فى عواطفهم ، وأن تتسع قلوبهم وتضيق بقدر ما اتسعت مناطق الغزو وضاقت ، ثم يقفوا بعد ذلك من وراء هذه الحدود يخضعون منطق الحياة لحسابها وينظرون إلى الدنيا من خلالها ويصرفون الجهد كل الجهد لتمجيدها ؛ أما المثل العليا . . . أما الدين . . . أما الإسلام . . فنأخذ منه ما يصلح لنا ، أى ما تحده حدودنا ، أى ما لا يصرفنا عن تقديس وطننا وتمجيد بلادنا إلى أى شيء آخر ، ولو كان المثل العليا ، ولو كان الدين ، ولو كان الإسلام ، ولو كان رسالة الله فى الأرض ، وإرث محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا يعرف الحدود .

ذلك هو الذى أنكرته يا سادة ولا زلت أنكره .

إن الإسلام جاء ليستأصل هذه الفلسفة التى تمزق شمل الناس ، وتجعل عواطفهم رهناً بالأرض وحدودها — جاء ليجعل رسالة المثـل العليا التى نزل بها جبريل وطن الناس الأول الذى تدور حوله عواطفهم وتتجه إليه قلوبهم ، وتلتقى عنده جهودهم وقواهم .

نزل القرآن من السماء ليقول للناس فى صوت عال : إن وطنكم هنا !

وقف محمد صلى الله عليه وسلم ينشد لأتباعه قبلة ، فلم تدُر فى الأرض عيناه « قد نرى تقلب وجهك فى السماء » .

وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليقول للتاريخ فى برهان رائع ودرس خالد « إن دينى أحب إلىّ من مكة ، إن دينى أحب إلىّ من أهلى وعشيرتى إن دينى هو وطنى الأول الذى أسكن إليه » .

اجتمعت العصبة الأولى من تلامذة الوحى : فمَن كانوا ؟ هل كانوا أبناء أسرة واحدة أوعشيرة واحدة ؟ هل كانوا أبناء قبيلة واحدة أو وطن واحد؟ — بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى وأبو بكر القرشى أليس هؤلاء أتباع الإسلام الأول ؟ أى نسب يربط هؤلاء من معـــانى الوطنية والوطن ؟ أى رباط بينهم مما تعارف عليه الناس ؟ لا شيء من ذلك كله يا سادة .

إن الرباط الذى جاء به الإسلام رباط آخر ، إن الحدود الذى فرضها حدود من

نوع جديد . إن الأمة التى يريدها هذا الإسلام أمة يصنعها إيمان واحد ، إيمان يستقر فى وجدانها ، ويسرى مسرى الكهرباء فى أعصابها ، ويضم شملها على اختلاف ديارها ، إيمان بأن لهذا الكون كله إلهاً واحداً يهيمن عليه ويدبر أمره « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » « يا عبادى إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون » « وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه »

إيمان بأن هذا الإله القوى القاهر اصطفى من عباده أنبياء ورسلا وجعل خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم : نزل عليه قرآنا ملزما « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً » .

إيمان بأن هذا التنزيل هو الحق ، ورحمة الله للعالمين ، وأن المؤمنين به أمة واحدة أمة مثل عليا تنتسب إلى السماء لا إلى الأرض ، وترتبط بإيمانها أقدس رباط « إنما المؤمنون إخوة » أمة تنشأ وتدرج وتعيش لتفسر فى الأرض قول الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

هذه أيها السادة رابطة الإسلام ، وعاطفة المسلم كما يريد الله أن تكون — وإن كان ثم شىء آخر يمكن أن يقال لدعاة الوطنية المجردة فهو أن الوطنية لا تصنع الخلق ، بينما الدين وحده هو الذى يصنع الأخلاق — فإذا احتجوا بأثر الوطنية فى حركات التاريخ ، فإننا نتخذ ذلك نفسه حجتنا الأولى عليهم ، ونتيجته شاهد لنا لا علينا : نتيجته ما نرى : عالم أصبح كالغابة : ضاع فيه الحق وديست كل الحرمات .

أما عن الأمل فى أن يستعيد الدين نفوذه بعد أن بعدنا هذا البعد عنه ، فحسبنا أن نؤمن أن هذه فريضة الله علينا ، وأنها الطريق الوحيد لخير الناس ، وعلينا أن نأخذ من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم دروس الحكمة والصبر والإيمان الراسخ بتأييد الله عز وجل . . . .

وأن نذكر ، كلنا ، أن الجندية فى معركة الحق والباطل هى ذروة السنام من فرائض الإسلام ، وليكن نشيدنا ، فى كل جبهاتها : « وإن جندنا لهم الغالبون » ؟

النظام الرأسمالى الجديد

للأستاذ السيد أبى الأعلى المودودى

نقلها إلى العربية السيد محمد عاصم الحداد

(٦)

الاشتراكية والشيوعية :

فهذه هى العلل والأسباب التى بها نشأ ما نشأ فى النظام المدنى والاقتصادى المتولد من الانقلاب الصناعى من السيئات والمفاسد . وإنك إذا تأملت قليلا فى استعراضنا لهذه المفاسد فى الصفحات السالفة ، تبين لك أنه ما كانت السبب فيها تلك المبادئ الفطرية التى كان الرجال البورجوازيون يعرضونها ويؤيدون بها اقتصادهم الحر ، وإنما كان منشؤها تلك الأخطار وسوء التصرفات التى مزجوها بهذه المبادئ الفطرية الصحيحة .

ولو أن أهل الغرب تنبهوا لهذه الأخطار فى حينها ونالوا من الهداية الحكيمة ما ينشئون به نظاماً للاقتصاد معتدلا متزناً فى هذا العهد الانقلابى الجديد لعاد الانقلاب الصناعى نعمة عظيمة وبركة كبرى لهم ولسائر بلاد الدنيا ؛ ولكن من دواعى الأسف أنه لم يبرز الذهن الغربى والسيرة الغربية فى هذا الدور إلا نفس ذلك الوهن الذى كان قد برز منها فى الأزمنة الفارطة . وكذلك لم يتقدم تاريخ الغرب فى الأزمنة المقبلة إلا على ذلك الطريق المعوج الملتوى الذى سار إليه وتردى فى مهواته بعد ما ضل الصراط السوى من قبل . فأنت ترى الطبقة البورجوازية الآن على نفس ذلك المقام من الكبرياء والظلم والعدوان الذى كان عليه قبل ذلك ملاك الأراضى ورجال الكنيسة والبيوتات الملكية ، أما مقام طلب الحق ورفع الشكاوى والاستغاثة والاحتجاج الذى كان عليه الرجال البورجوازيون من قبل ، فقد قام عليه الآن العمال الكادحون . فكما كانت الطبقة المترفة فى النظام الإقطاعى المنقرض حاولت كم أفواه الطبقات المعوزة باستغلال طائفة من حقائق الدين والأخلاق وقوانين الطبيعة تأييداً لما كانوا يتمتعون به من الامتيازات غير المشروعة والحقوق الجائرة والقيود المثقلة التى

وضعوها فى أعناق أتباعهم ، كذلك حاولت كل ذلك الطبقات المترفة فى النظام الرأسمالى الجديد . وكما كان الرجال البورجوازيون استنفدوا معظم جهودهم فى مقاومة تلك الحقائق الثابتة الفطرية التى كان يتكئ عليها ويستند إليها أعداؤهم ملتهبين بنار من الغضب واللجاج والحنق من غير أن يدركوا أخطاء ملاك الأراضى ورجال الكنيسة الحقيقية ويعملوا على تداركها بالتصحيح المتناسب ، كذلك فقد الآن العمال وزعماؤهم الاتزان والاعتدال فى نظرهم وفكرهم مدفوعين بدافع من التغيظ والغضب وشنوا حملتهم الشعواء على المبادئ الفطرية التى مازال يشيد عليها بناء العمران والاقتصاد الإنسانى منذ أول أمره بدل أن يحملوا حملتهم على مفاسد المدنية البورجوازية ومضارها الحقيقية . وقد يكون رجال الطبقات المتوسطة على جانب من الذكاء والفطنة والتعليم على ما فيهم من السيئات والمفاسد ومكامن الضعف والوهن . فاحتفظوا ببعض اتزانهم الذهنى واعتدالهم الفكرى حتى عند اشتداد سورة الغضب والشكاة . ولكنه لما قام العامة المضطهدون المغلوبون على أمرهم ، وكان يفقدهم كل من العلم والذكاء والتجربة، فلما قاموا قومتهم وهاجوا هيجانهم بعد ما عيل صبرهم وأقضت عليهم مضاجعهم لما ظلوا يعانونه من الآلام والشدائد طيلة قرون عديدة ، أبوا أن يزنوا شيئا بميزان الاعتدال والعقل والحكمة قبل أن يقبلوه ويقبلوا عليه ويسلموا به تسليما . وأكثر ما استهوى عقولهم من المبادئ هو ما كان أكثرها شدة فى قضاء ما انطوت عليه جوانحهم من عواطف النفرة والغضب والثأر والنقمة .

فهذا ما يسمى بـ (Socialism)[1] أى الاشتراكية عامة . وما « الاشتراكية » إلا وليدة من غضب الفقراء وحنق المعوزين كما رأيت . فما كاد يمضى على تولد النظام الرأسمالى أكثر من نصف قرن ، حتى نجم قرن الاشتراكية ، وما كاد يمضى على تولدها أكثر بقليل من نصف قرن ، حتى امتلأت الدنيا بويلاتها وشرورها .

---

(١) والمعنى اللغوى لـ Socialism هو الجماعية : وقد وضع هذا المصطلح بإزاء تلك الفردية (Individualism) التى قام عليها بناء النظام الرأسمالى . وقد سبق كارل ماركس رجال بدأوا يقدمون كثيراً من النظريات والمبادئ المختلفة بهذا الاسم وكانت الغاية المشتركة بينهم جميعاً أن يؤسسوا نظاماً للحياة يضمن السعادة للمجتمع بوجه شامل عام ، ولكن بقيت نظرياتهم هذه كلها مدونة فى الكتب ، وجاء كارل ماركس وأجاب إلى طلب الناس العام هذا بصورة نوع خاص من (socialism) يصطلح عليه عامة بـ (Scientific Socialism) (الاشتراكية العلمية) أو (Marcism) (الماركسية) أو (Communism) (الشيوعية) . فهذه الشيوعية هى التى نتناولها بالبحث فى هذا المقام ، لأنها هى التى أخذت مكانها من الأرض وتأصلت فيها جذورها .

الاشتراكية ومبادئها :

وقد جعل واضعو هذا المذهب الجديد « حقوق الملكية » هي الهدف الأول لحملتهم الشعواء ، وقالوا إن هذه هي المنشأ لجميع الشرور ،والجذر الذي تتفرع منه جميع المفاسد في الدنيا . أما أن تبقى الملابس والأواني وأثاث المنزل وما إليها من الأدوات الاستهلاكية الأخرى في ملكية الأفراد الشخصية ، فلا بأس بذلك ، ولكن الأرض والآلة وما إليهما من الأدوات التي تنتج الثروة للانسان ، فلاينبغي أن تبقى عليها حقوق الملكية الفردية أبداً ، فإنه إذا كان فرد من الأفراد مالكا لشيء من هذا القبيل ، فهو ينتج به الثروة ، وإذا أنتج الثروة فسيدخرها ويكنزها ، وإذا كنزها فسيشترى بها مزيداً من قطع الأرض أو الآلات وتكثر في يده الوسائل لانتاج الثروة ، وإذا فعل كل هذا ، فإنه يستأجر غيره من أبنـــاء جنسه ويعاملهم معاملة المشاهرة أو الجعالة أو المزارعة ، وإذا فعل هذا ، فلا بد أن يفعل كل ما يفعله الرأسمالي البورجوازي ؛ فيستوجب كل ذلك أن نقتلع من الأرض ذلك الجذر الذي تنفجر منه هذه الشرور وتتفرع هذه المفاسد .

وقد سئلوا في هذا المقام أنه ليست حقوق الملكية في وسائل الإنتاج شيئاً محدثاً ابتدعه الرأسماليون البورجوازيون ، بل هي ، كحقوق الملكية في الأدوات المستهلكة ، من الأسس التي ما زال يشيد عليها بناء الاقتصاد والعمران الإنساني منذ أول أمره ، فما الداعي إذن إلى اقتلاعها واستئصال شأفتها من غير تأمل ولا تبصر ؟ فما كان جوابهم إلا أن اختلقوا تاريخاً كاملا للانسانية ، وقالوا إن الأفراد ما كانت لهم حقوق الملكية الشخصية أصلا في وسائل الإنتاج في بدء الإنسانية ؛ وإنما أحدثتها وأقامتها الطبقات القوية المستأثرة فيما بعد بسائق أثرتها .

قيل إن هذه الحقوق ما زالت تعترف بها وتقر بها جميع الديانات والنظم الخلقية ، والقوانين والشرائع في الدنيا منذ أول أمرها . وما اختارت إحداها النظرية القائلة بأن تلك الصورة للاقتصاد والعمران التي تنشأ بالملكية الفردية لوسائل الإنتاج ، هي خاطئة مليئة من المفاسد والسيئات من حيث هي . فما كان منهم إلا أن ادعوا من فورهم جواباً على هذا أنه ما زالت الديانات والأخلاق والقوانين آلات في أيدي الطبقات القوية الغالبة تتصرف فيها وتتحكم بها في مقادير الأمم المستضعفة ؛ فكل طبقة إذا تمكنت من احتكار وسائل إنتاج الثروة ، أحست بالحاجة الشديدة — حفظاً لاحتكارها وإحكاماً لقواعده — إلى طائفة من النظريات والمبادىء والرسوم والعوائد والضوابط

فالذين وضعوا لها هذه الأشياء، وقدموها طبقاً لأغراضها ووفقاً لأهوائها قيل لهم الرسل والأنبياء ومعلمو الأخلاق وواضعو القوانين، فما زالت الطبقات العاملة منخدعة بهذه الشعوذة مدة مديدة من الزمن، ولكنهم سينتهكون هذه الأستار ويفكون تلك الأغلال ويجعلونها أثراً بعد عين.

وقيل لهم إنه لا بد للقضاء على هذه الحقوق واستئصالها من نزاع شديد تشتبك فيه العناصر المختلفة من كل أمة فيما بينها وتتأجج به نار الحرب الطبقية في كل قرية من القرى، وفي كل حي من الأحياء. فما لبثوا أن أجابوا على ذلك واختلقوا فلسفة كاملة للتاريخ البشري أثبتوا فيها أنه مارزقت المدنية الإنسانية مارزقت من الرقي والنمو إلا بفضل الحرب الطبقية. فما لرقي البشرية ونموها وكمالها من سبيل إلا هذه وحدها.

ثم قيل لهم إن عمل الإنسان لمنفعته الذاتية لهو مما قد فطر عليه وسيط من دمه، فلا تنشأ في الأفراد عاطفة السعي والجد إذا سلبتموهم ملكيتهم في وسائل الإنتاج ولم تدعوا لهم فرصة ليجنوا المنافع على قدر ما يجدون ويجتهدون وذلك مما سيسبب في آخر الأمر هلاك المدنية البشرية وزوال عمرانها، فأجابوا على ذلك من فورهم ما هذه الأحاديث الواهية؟ أكلمات الفطرة والجبلة والميول الفطرية والاتجاهات الموروثة؟؟ إنما هذه الكلمات كلها قد تولت كبر وضعها الطبقة البورجوازية لأغراضها، فإن الإنسان ليس فيه شيء يوافق مسميات هذه الأشياء وكل ما فيه من الميول والاتجاهات إنما هي وليدة البيئة والمجتمع. فإذا ما استبدلنا بيئة ببيئة ومجتمعاً بمجتمع، صاغت في قالبه فكرته وأصبح قلبه مورداً لعواطف تلائمه، وأقبلت نفسه تخترع أفكاراً جديدة توافقه، وأخذ يتدبر الأمور ويرى فيها على حسب مقتضاه. فالناس فرديون بعقليتهم وفكرتهم مادام نظام الملكية الفردية قائماً وستنقلب عقليتهم جماعية حينما يقوم نظام الملكية الجماعية يظلهم بظله الوارف.

ثم سئلوا بعد هذا: كيف وعلى أي نحو تسير شئون الإنسان الاقتصادية كلها بعد القضاء على الملكية الفردية؟ فأجابوا: بأننا سنؤمم جميع وسائل الإنتاج كالأرض والمعامل وسائر دوائر الصناعة والتجارة: أي نخرجها من أيدي الأفراد ونحولها إلى ملكية شعبية أو جماعية، فالذين يشتغلون في هذه الدوائر، لا تتوزع منافعها إلا بينهم وهم الذين ينتخب بأصواتهم من يديرون تلك المصانع والمعامل ويكون بأيديهم زمام هذا النظام الاقتصادي الجديد.

ثم لما سئلوا أي خطة عملية تستعينون بها وتختارونها للقضاء على ملكية ملاك

الأراضي وأصحاب المعامل وما إليها من وسائل الإنتاج الأخرى وتحويلها إلى الملكية الجماعية ؟ أجيب على ذلك بجوابين مختلفين :

قال فريق منهم سنختار لهذا التغير طرقاً جمهورية : أي نمتلك ناصية الأمر ونستولي على السلطة السياسية بتهيئة الرأي العام في البلاد ثم نحول تدريجاً — بالمكافأة مرة وبغيرها أخرى — ما فيها من العقارات الزراعية والصناعات والتجارات الفردية إلى ملكية جماعية بوضع القوانين الجديدة . فهؤلاء هم الذين قد اختصت لهم كلمة الاشتراكيين (Socialists) عامة ، وقد يقال لمبدئهم الاشتراكية الارتقائية .

وقال فريق آخر إنه لا يمكن أن يتأتى هذا التغير بالطرق الجمهورية ولا بد له من الأعمال الثورية . سننظم عامة العاملين الكادين المعوزين لهذا الغرض ونعلن الحرب على الطبقات المالكة لوسائل الإنتاج بكل طريق ممكن ونقضي قضاء مبرما على حكومة الطبقة البورجوازية ونقيم في البلاد سيطرة قوية للعمال ، ونسلب ملاك الأراضي أراضيهم وأصحاب المصانع والتجارات مصانعهم وتجاراتهم واضعين السيف على رقاب المقاومين ، ومستحلين دماءهم . وسنمحو كل ما في البلاد من الطبقات المختلفة ونحولها جميعاً إلى طبقة واحدة : أي طبقة العاملين الكاسبين بأيديهم . وسنحرم بموجب القانون أن يستعمل أحد من الناس غيره — فرداً أو أفراداً — على طريق من الاستئجار ويستغل منفعته (١) . فإذا اكتمل هذا الانقلاب وبلغ أوج تمامه ولم يبق عليه خطر من انتعاش الطبقات الرأسمالية من جديد ، تتلاشى سيطرة العمال هذه بنفسها — بزعمهم — وليت شعري كيف يتأتى ذلك ، ويحل محلها — بزعمهم الفاسد ، من غير أن يأتوا عليه بدليل أو برهان — نظام تسير فيه شعب الحياة كلها على حسب مرضاة الناس ومشاورتهم وتعاونهم من غير ما حكومة ولا إكراه . فهذا المبدأ الثاني يقال له الاشتراكية الانقلابية : وكذلك يسمى بلشفية وقد يسمى بالماركسية ، ولكن لقبه المعروف الذي تعرفه الدنيا به اليوم هو الشيوعية (Communism)

وما زال هذا المبدأ الجديد من الاشتراكية ينتشر بفروعه المتنوعة ومناهجه الفكرية المختلفة لسبعين أو ثمانين عاماً في أوربا والبلاد التابعة لنفوذها السياسي ، وما كان في بدء أمره إلا اختراعاً تولى كبره رجال ممن أوتوا من قبل عقولهم ، وكانت مقدماته ودلائله ونتائجه كلها في غاية من السخافة والتضعضع ، وما كان يقبل عليه ويتلقاه

(١) مما يجوز : بموجب النظرية الشيوعية أن يطبخ المرء أو يخيط الثياب للناس بالأجرة بنفسه ، ولكنه إذا استأجر عنده غلاماً بالأجرة أو المشاهرة واستعان به في عمله ، انقلب بورجوازياً على الفور وأصبح عمله جريمة أقل ما يعاقب به عليها هو مصادرة أملاكه .

بالقبول إلا العوام الغاضبون وما كان قبولهم ذلك صادراً عن علم أو فكرة وروية ، بل إنما كانوا يتلقونه بالقبول لأجل عواطفهم الثائرة الهائجة . ومن أعاجيب ما فطرت عليه العقلية الغربية من الضعف وقلة الروية أنها مولعة أشد الولوع بالإغراب والابتكار ، ولا سيما إذا كان قد بلغ مبلغاً عظيما من الغلو والسخافة وظل صاحبه يجحد بمسلمات عظيمة كثيرة ويبطلها بدون توقف ولا روية ورتب دعاويه ودلائله بطريق على حق نشأ فيها شيء كالنظام (System) . ولقد كانت هذه الخصائص توجد في هذا المبدأ الجديد بأوسع معانيها الممكنة ، فأقبل عليه كثير من الرجال الأذكياء من الطبقتين السافلة والمتوسطة ، بل وكثير من الرجال المتفطنين المتيقظين من الطبقة البورجوازية نفسها ، وبدأوا يؤلفون الكتب ويصدرون المجلات والجرائد لشرح مبدئهم الجديد وتفسيره والدعوة إليه ، وانتظمت في معظم أقطار العالم أحزاب حامية لمختلف النظريات الاشتراكية ، حتى أخذ عدد كبير من أبناء آدم يحسب بالجد أنه من الممكن أن يقوم على هذه النظريات نظام للاجتماع والاقتصاد .

(يتبع)



« ضاقت صفحات العدد عن الحلقة الثانية من بحث الأستاذ الفاضل عيسى عبده ابراهيم ، وعن مقال الأستاذ الفاضل عبد القادر عوده في التشريع الجنائى الذى وصل متأخراً فإلى العدد القادم إن شاء الله . »

أيها المحلفون !

لا ... الله لا الملك

(٤)

(فى اليوم التالى انعقدت المحكمة فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وتابع مولانا محمد على مرافعته موجهاً الكلام إلى هيئة المحلفين) .

أيها السادة المحلفون :

كنت أوضحت لكم أن نداء الملكة قد أعطى حماية القانون لجميع رعايا الهند البريطانية فى ممارسة شئونهم الدينية اعتقاداً وتطبيقاً . وكنت قررت لكم أن ذلك هو أساس القضية ، وأن العمل الذى يصدر عن أى شخص فى الهند ـ مسلماً كان أو هندوكيا ـ ما دام هذا العمل مما يتصل بالتعاليم الدينية ، فلا سبيل لقانون العقوبات أو أى قانون آخر مما حملت عليه الهند البريطانية ليقف دونه أو يصل إليه بجزاء لأن القانون يعطيه حماية تلك التعهدات . غير أنه لا بد له من إقامة الدليل بأن ما قام به من عمل هو مما تأمر به تعاليم دينه .

وكما أخبرتكم بالأمس ، أن هذه المحاكمة فى الحقيقة هامة جداً ، لأن القضية الواضحة فيها هى : هل لشريعة الله أن تسود أم أن لقانون البشر أن يهيمن على شريعة الله ؟ .. هل لنداء الملكة أو عهد الملك أية قيمة ؟ . . وهل القاضى ملزم بالعمل بهما وكذلك المحلفون ؟ . . .

إنه ليس بوسعى أن أشرح قضيتى إذا كان القاضى قد أعد قراره . إننى لا أدرى على أى أساس يتخذ ذلك القرار ، ولكنه قرار هام على أى حال بالنسبة لهذه القضية . ليس لكم أن تأخذوا قانونكم عن المدعى العام أو عنى ، غير أنى أحب أن يكون واضحاً لديكم ، أيها السادة المحلفون ، أنكم إن منعتم اليوم هندوكيا أو مسلماً أو مسيحيا حقه فى القيام بواجبه أمام الله والعمل بما توجبه عليه عقيدته ابتغاء ثواب الآخرة وخشية العذاب ، ولم تسمحوا له أن يمارس تعاليم دينه ، فإنكم بعملكم هذا تكونون شركاء فى جريمة تدمير الحرية الدينية التى يتمتع بها الناس فى هذه البلاد .

كنت أتكلم أمس عن مستر هـ . ج . ولز (H. G. Wells) فى كتابه

« الله ، الملك الذى لا يُرى » وكذلك فى كتابه الآخر ، قصة « روح أسقف » . إنه يقول بأنه ينسب إلى السيد المسيح عيسى عليـــه السلام قوله « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ثم يسأل : من هو ذلك القيصر الذى يشاطر الله فى ملك هذه الدنيا ؟ ما الذى يعتبر ملـكا لقيصر وليس هو فى نفس الوقت ملـكا لله ؟ . . ليست الدنيا مقسومة شطرين بين الله وقيصر ، كلا فإن الله تعالى هو الحاكم الوحيد . . إن الملك ، أو أى مخلوق ولـكن رئيس جمهورية أو قاضياً أو عضو هيئة محلفين ، إذا طالبك بأمر فلا بد أن يطلبه لله ، أما إذا كان فى تلبية ذلك الطلب مالا يرضى الله فلا سمع ولا طاعة ! . . ويقول مستر ولز : « ويوشك هذا المذهب أن يكون هو الديانة العالمية الحديثة » وعلى أى حال ، إذا صح ذلك أو لم يصح ، فإن هذه الفكرة جزء من عقيدة المسلم بكل تأكيد إنها ليست عقيدتى الشخصية أو هواى وأوهامى ، إننى أتحدى الحـكومة ، وأتحدى المدعى العام ، أن يحضروا مسلماً واحدا يقول غير ما قلت ! !

ألا فلتعلموا أن كل مسلم يعيش فى الهند البريطانية — بل فى أى مكان ، إذا كان عليه أن يخضع لقانون البلاد فإن ذلك لا يكون إلا فى حدود معتقداته الدينية ، وهذا عين ما قلناه لنائب الملك سابقاً عندما كنا فى المعتقل وعرض علينا شروطاً خاصة للافراج عنا بأن نفعل هذا وندع ذاك ، فقبلنا على شرط عدم المساس بعقيدتنا وكذلك منذ زمن بعيد أرسلنا كتابا إلى نائب الملك بواسطة رئيس سجن بتول (Betul Jail) حيث كنا معتقلين قلنا فيه :

« ولـكن حيث ان الحـكومة كما يظهر ليست تعلم كيف تصبغ عقيدتُنا أعمالنا . وكيف ينبغى لأعمالنا أن تصطبغ بها — ومن هذه الأعمال ما يعد من الأمور الدنيوية — فإن شيئاً واحداً لا بد من إيضاحه هو : أن الإسلام لا يجيز لأحد من أتباعه أن يصدر حكما على مؤمن آخر دون برهان مبين ، ونحن كذلك لم يكن باستطاعتنا بالطبع أن نقاتل إخواننا المسلمين ولمـا نتأكد من أنهم معتدون . أو أنهم لم يحملوا سلاحهم فى سبيل الذود عن عقيدتهم »

إننا لا نريد تغيير أشخاص الحكام ، ولـكنا نريد بسرعة تأسيس حكومة مسئولة تجاه الشعب الهندي الموحد . وقد أملنا أن نـكون قد وضحنا الأمور بما لا يدع مجالا للريبة أو سوء التفاهم .

وهنا أمر آخر لا بد له من زيادة الإيضاح حيث انه قد تبين لنا منذ ذلك الحين

أن مبادىء الإسلام التى سنذكرها الآن ليست مفهومة عموماً ، عند غير المسلمين كما يجب أن تفهم وخصوصاً فى الدوائر الرسمية ، إن عقيدة المسلم لا تقتصر على الإيمان ببعض المعتقدات والسير فى الحياة بحسبها ، بل لا بد للمسلم فضلا عن ذلك أن يبذل ما أوتى من جهد — دون اللجوء إلى الإكراه طبعاً — فى تبليغ هذه العقيدة إلى غيره ، حتى يؤمنوا بها ويخضعوا حياتهم لأحكامها ، وذلك هو تعبير القرآن الكريم ، بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وهناك أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبين هذا التكليف الخطير فى الإسلام .

ليس للمسلم أن يقول : لا شأن لى بأخى ، فإنه لن ينجو حتى النجاة إلا إذا حض أخاه على فعل الخير ونهاه عن الشر . فإذا أكره مسلم على أن يخوض حربا ضد مجاهدي المسلمين فليس عليه أن يأبى مخلصا وحسب ، بل لابد — ما دام يقدر الفوز فى الآخرة حق قدره — أن يجتهد فى إقناع إخوانه حتى يأبوا إباءه . هذه هى عقيدتنا وعقيدة كل مسلم . وهى التى نطالب لنعيش بها أحراراً ، فإذا ما حيل بيننا وبين تبليغها فلا بد من أن نصل إلى القول بأن الوطن الذى تحد منه هذه الحرية لا يكون وطناً آمناً لعقيدة الإسلام .

لقد كانت التهمة الأولى التى وجهتها لنا الحكومة فى السابق إنه « خلال الحرب احتيج إلى المسلمين ، مع التحدى لالتزاماتهم الدينية . » لاحظوا التعبير أيها السادة ، « لمساعدة الحكومة فى خوض الحرب ضد الخلافة والمجاهدين » . أتدرون ماذا صنع نائب الملك فى ذلك الحين ؟ إنه لم يشنقنا بموجب المادة ١٢١ ، ولم ينفنا مدى الحياة كما تقتضى أحكام المادة ١٣١ . إن كل ما فعله أن أطلق سراحنا وأعد لإرسالى إلى انجلترا حتى أوضح شريعة الإسلام لرئيس الوزارة وأعضائها هناك ، ونحن الآن ، ولنفس السبب ، نحاكم على مؤامرة جنائية .

ليت شعرى ما الذى يميز حالتنا عن غيرنا من المسلمين ؟ وما الموقف فى هذه القضية تجاه تلك الآلاف ، بل مئات الملايين ممن يقولون اليوم بنفس ما نقول ؟ لم لا يحاكمون معنا ؟ ولقد كنت شكوت من تفكك الاتهام لأن عدداً كبيراً من المتهمين يحاكمون على عدد كبير من التهم ، ولكنكم لن تجدوا قاعة تتسع لمحاكمة الذين يجاهرون بتلك العقيدة مرة واحدة .

كما قلت مكرراً إنها ليست اعتقاداً فردياً ؛ وأنا الذى عشت مع رجال من الإنجليز وذهبت إلى انجلترا لتلقى العلم فى اكسفورد ، أنا الذى كنت على أتم صداقة مع الشعب

الإنجليزى ، لكن علىَّ مع كل ذلك أن أقول بأنه لا ينبغى لمسلم أن يخدم فى الجيش البريطانى حيث يحمل على قتل إخوانه فى سبيل الباطل ، لأن من واجبى أن أقول ذلك . لقد قلت سابقاً ، وأقول الآن ولا أزال أردد ما حييت بأن ذلك غير جائز فى الدين ، وما أبالى لو أعلق على المشانق ؛ وإنى لأرجو أن تنادى رفاتى من باطن القبر أن هذه هى عقيدة المسلمين .

وبعد ، فلنأت إلى التهمة الأولى الموجهة ضدنا الآن ، واللاتى تجلسون للقضاء فيها كمستشارين .

لقد بلغتم ورأيتم بأنفسكم أنه لم يؤت بأى شاهد ليثبت أنه كان هنـــاك أى اتفاق فى أى وقت من الأوقات . لقد سألكم صديقى هنا (المدعى العام) أن تأخذوا بالاتهام على أساس الاشتباه . أى اشتباه ؟ ! هل تراكم على عزم شنقنا بسبب هذا الاشتباه الذى لم تقم أدنى قرينة لإثباته ؟ ! !

ما من أحد قط شهد بأنه رآنا أو سمعنا أو اشتبه بأننـــا فى مؤامرة أو اتفاق لارتكاب أى ذنب من الذنوب . لقد كنت فى انجلترا فى شهر فبراير سنة ١٩٢٠ ، ولعله فى نفس اليوم الذى كنت فيه أقابل القائم بأعمال سكرتارية الدولة ، انعقد مؤتمر فى كلكتا اتخذت فيه قرارات معينة . هذا كل ما كان من دليل ضدى ، ومع هذا فإن على هذا الاشتباه أن يقوم مقام الدليل عند المدعى العام وإن أية قرينة كافية لنفينا مدى الحياة

أيها السادة ، إني أستطيع أن أقول إنى لا أعرف شيئاً عن هذه المؤامرة . إني لم أعلم متى ذهب شقيقى إلى أسام (Assam) ، إنى لم أعلم شيئاً عن ذلك حتى قام المدعى العام وقال بأنه سيأتى بشاهد لإثباته ؛ وبذلك علمت المرة الأولى أن أخى ذهب إلى هناك . . . ذلك الماكر ! ! إنه يذهب دون علمي ؛ وبجريرته أُنفى مدى الحياة ! إن ذلك أسوأ ما فى أن يكون المرء شقيقاً أصغر (ضحك) .

إن ذلك لا يعتبر دليلا على الاتفاق لارتكاب عمل جنائى ، وليس لكم أن تزعموا ذلك ، ولا بد للتهم من إثبات لا شبهة فيه .

بالنسبة لمؤتمر كراتشى ، إن التحقيق منفذاً من الاتهام به من حيث أنه لم يتكلم فيه ، ولكن المدعى العام يستطيع أن يسد تلك الثغرة أيضاً :

كان لمزارع فى استراليا ابن على حظ من الذكاء قليل ، حتى لقد كان يدعوه الناس الأبله ، وحينما يحجبه أبوه نالته بسبب بلهه نوعا من المهانة ، وقد دعى الوالد إلى حفل

مرة ؛ وأصر الابن على مصاحبته ، فأبى الوالد خشية أن يتكلم ابنه بين الناس فيدركوا أنه أبله فتلحقه مهانة أخرى . غير أن الابن وعد بأن لا ينطق فى الحفل بكلمة ، وبعد لأى قبل الوالد أن يصحبه على هذ الشرط . وهناك جلس الابن فى ركن قصى ؛ وقد تقدم لمحادثته عدد من الناس فلم يجب واحداً منهم بحرف ، وعند ما تقدم آخر ليلقى إليه سؤالا قال له أحد الضيوف : « ما فائدة سؤال هذا الرجل ألا ترى أنه أبله ؟ . . وفى الحال صاح الابن بأعلى صوته مناديا أباه الذي كان يجلس منه فى الطرف الآخر من المائدة : أبى ، لقد عرفوها مع أنى لم أتكلم ! (ضحك) .

وهكذا حزر المدعي العام أن أخي كان متآمراً في مؤتمر كراتشي مع أنه لم يتكلم !

« يتبع »



هكذا كنا نحكم

قال عمر بن الخطاب يوما على المنبر : يا معشر المسلمين ، ماذا تقولون لو ملت برأسى إلى الدنيا هكذا ؟ — وأمال رأسه — فقام إليه رجل فسل سيفه وقال : كنا نقول بالسيف هكذا — وأشار إلى قطعه — فقال عمر : إياى تعنى بقولك ؟ قال نعم إياك أعني بقولى ، فنهره عمر ثلاثا ، وهو ينهر عمر ، فقال عمر : رحمك الله ، الحمد لله الذي جعل فى رعيتى من إذا تعوجت قومنى .

الإسلام والعلاقات الدولية

للأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى

(١)

أنشودة السياسة العالمية فى العصر الذى نعيش فيه أن العالم وحدة لا تنفصم عراها ، وأن هناك حقوقا سرمدية يجب أن يتمتع بها الإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه وموطنه ، وهى تلك الحقوق التى صيغت فى بضعة بنود تضمنتها وثيقة تسمى « الإعلان العالمى لحقوق الإنسان » . ومن النظريات الدولية البراقة نظرية المساواة فى السيادة ، وهذا كله كلام يتشدق به الساسة من منابر الأمم المتحدة ، وفى أنهر الصحف العالمية ، ويذهبون إلى حد القول أن هناك شعوبا ناهضة وأخرى متخلفة ، وأنه من واجب الأولى أن تقدم للثانية ضروب المعونة الفنية والصحية والثقافية وغيرها ، حتى ترتفع مستواها ، وتقوم عدالة دولية يرضى عنها جبار السماوات والأرض ؛ فهل نصدقهم فيما يدّعون ونسير فى الركب آمنين مطمئنين ، أم نأخذ حذرنا وننظر للأمور نظرة فاحصة فنرى أننا نواجه خدعة كبرى ، يراد بها إسدال الستار على الماضى الرهيب ، والتسليم بالحالة الواقعية ، التى لا تعدو أن تكون سطواً منظما ، ووصاية مقنعة يراد منا أن نقبلها طائعين مختارين ؟ ! وفى ضجيج هذه المسرحية الدولية ، تمتد القبضة الاستعمارية إلى الثقافة والأخلاق والمعتقدات ، تحت ستار المعونة المقول عنها أو التجديد الزاحف علينا ، ولسنا ندرى إلى أى مدى يصل نشاطهم فى هذا المضمار ، ولكننا نرجح أنهم يقومون بتبشير سياسى أشد خطراً من التبشير الدينى ويهدفون للقضاء على العصبية الإسلامية ، فنفقد شخصيتنا وتضعف مقاومتنا ونندمج فى الغزاة ونسلم لهم بالتبعية طائعين مختارين ، ولا يرون بأساً من أن تتمتع شعوب الشرق باستقلال سياسى بشرط أن تكون لهم اليد العليا فى شئونها الدفاعية وسياستها الخارجية وحياتها الاقتصادية ، وتظل سفنهم تغترف الثروة التى أودعها الله فى جوف آسيا وأفريقيا فيأخذونها خامات ويردونها مواد مصنوعة تباع فى أسواق الشرق فيحققون أرباحا جنونية ويقون بلادهم شر تبطل الأيدى العاملة ، وإذا ما اكفهر الجو الدولى وكتب عليهم الخالق سبحانه وتعالى القتال ليذوق بعضهم بأس بعض يسخر المسلمون لحساب ما يسمونه « العالم الحر » مواردهم وبلادهم وأموالهم

وأرواح بنيهم فى الميدان ، فيكسبون لهم المعركة بأغلى التضحيات ، ويجنون هم ثمرة النصر ، وتبقى لهم الـكلمة العليا ! !

إن تلك القوى السياسية العاتية التى تألهت بعد الحرب العالمية الثانية ، وراحت توزع الحظوظ والأرزاق بين الناس ، وتقف فى مكان الصدارة وكأنها تهب الحياة أو تفرض الموت ، لا تؤمن بما تقول ، ولا تعمل بوحى من المواثيق أو المبادىء التى تخدر بها أعصاب الشعوب المغلوبة على أمرها ، ولهذا نراها تتـكتل فى مكافحة حركات التحرير ، وفى سجل السياسة العالمية بعد الحرب الـكبرى الأخيرة (١٩٣٩ — ١٩٤٥) صفحات يتندى لها الجبين ، وتهدم ما تذيعه أبواقهم رأساً على عقب ، ولـكى نضرب الأمثال للناس نذكر بذبح فلسطين فى سنة ١٩٤٨ وإقامة إسرائيل فوق جماجم العرب لتحقيق حلم داعب أخيلتهم مئات السنين ، ومؤازرة بريطانيا ضد مصر فى سنة ١٩٤٧ بمجلس الأمن وفى السنوات التالية فى المحافل الدولية ، لتبقى قناة السويس أداة الغرب فى السيطرة على الشرق ووسيلة أحفاد الصليبيين فى تقطيع أوصال المسلمين ، والفرنسيون يستعبدون شعب الجزائر ويرتـكبون أحط الجرائم ضد تونس ومراكش ، ولا تتحرك العدالة الدولية ، بل لا تحاول أن تسمع أو ترى لأن فرنسا دولة صليبية وأهل تونس والجزائر ومراكش عرب مسلمون .

وفى الهند الصينية قتال عنيف ولـكن أهل هذه البلاد فى نظر أمريكا وفرنسا وحلفائهما وحوش يجب أن تحصدهم الطائرات لأنهم يطلبون الحرية وكيف يسمح بتحريرهم وهم يزرعون الأرز وعندهم مطاط وقصدير وصفيح وهكذا ، وهم شعب ملون ، وإيران المجاهدة طردت الإنجليز وحرمتهم من النفط الذى كانوا يسرقونه . وإذا كانت هذه الحركة الفذة قد صادفت هوى لدى الباحثين عن البترول من سكان نصف الـكرة الغربى ، إلا أن الإيرانيين شرقيون ومسلمون ويجب أن يجوعوا ويغض الطرف عن الحصار والقرصنة البريطانية حتى يتأدبوا فى معاملة الرجل الأبيض ، والمحميات الواقعة فى الخليج الفارسى وعلى البحر الأحمر يجب أن تبقى محميات ، وفى أفريقيا وما أدراك ما أفريقيا نهب بالجملة وبالقطاعى ، فهى مستعمرات ومحميات ووصايات موزعة بين جوارح المستعمرين ، وآخر ما وصلوا إليه على هدى المواثيق الحديثة أن ينسقوا مصالحهم وينظموا تلك السرقات التى لا تعد سرقة لأن السارق أبيض والمسروقون سود أو نحاسيون ، وفى جنوب أفريقيا تقوم حركة تدعوا لمعاملة الملونين كآدميين لهم ما للبيض من الحقوق ويرى البيض أن يبيد هؤلاء وينقرضوا كما انقرض

الهنود الحمر فى أمريكا ، وتغمض منظمة الأمم المتحدة عينيها وتبارك بسكوتها الجور والعدوان ، وفى كينيا تحصد نيران الإنجليز المجاهدين البواسل ، وترى عدالة « ليك سا كسس » أن « ماوماو » خارجة على القانون .

أما فى علاقة الرجل الأبيض بأخيه الأبيض فالعالم كتلتان :
(١) كتلة ما وراء الستار الحديدى .
(٢) كتلة الغرب التى تتزعمها أمريكا .

والحرب الباردة تدور رحاها وتتفجر نيرانها فى كوريا وقد تندلع فى غيرها ، ولا يدرى المنجم شيئا عن المصير ، ولا نعرف نحن أين المفر . وكل كتلة منقسمة داخليا ، فللقارة الصينية سياسة خفية غير سياسة موسكو ، وحينما تلتقى الصين بالهند ستصبح كلمة آسيا للآسيويين حقيقة لا مراء فيها ، وفى الكتلة الغربية دول تجرى فى فلك أمريكا ولكنها تعمل لحساب نفسها قبل أى اعتبار آخر ، ففرنسا مسرفة فى استعمارها الأفريقى وأمريكا تبحث عن البترول والخامات ويهمها أن تطرد فرنسا حيثما تقضى بذلك مصالحها العليا ، وبريطانيا قد انهارت كامبراطورية كانت الهند درتها وتركزت فى مجاهل أفريقيا ، وترى الولايات المتحدة أنها الوارث الطبيعى للامبراطورية البريطانية أو الدائن الذى أغرق مدينه ولا مندوحة له عن تصفية أملاك المدين فى يوم من الأيام ، واستعدادا للمستقبل تضع الولايات المتحدة يدها فى أوروبا وتحاول أن تخلق جيشا أوروبيا يكون أجيرا لها وتأبى إلا أن تهيمن على البحار غير مكتفية بالباسفيك فهى صاحبة قيادة الأطلنطى وقيادة أساطيل الغرب فى البحر الأبيض المتوسط وانجلترا فزعة من سياسة أمريكا البحرية والمستقبل كفيل بتصفية إحدى الدولتين ، والولايات المتحدة قد تكتلت مع بلاد أمريكا الجنوبية فيما يسمى « بالبانامريكانزم » وخلقت قانونا دوليا أمريكيا ومحكمة عدل دولية أمريكية ! !

وفى هذه التيارات الهائجة المائجة ، وقد وقع العالم كله فى قبضتين ماديتين جبارتين لحمتهما الخامات والأسواق والمنافذ البحرية والاستغلال والنهب على أوسع نطاق ، لا بد أن تقوم قوة عالمية ثالثة ، ترتكز على المعنويات إلى جانب الماديات ، وتقف سياجا منيعا بين موسكو وليك سا كسس ، إذا صح أن هذه الأخيرة هى عاصمة التكتل الغربى ، وهذه القوة هى الدولة الإسلامية العظمى (١) التى أقامها الله حينما ظهر الإسلام

---

(١) حين تتحدث « المسلمون » عن [الدولة الإسلامية] فهى تعنى بذلك الدولة التى قامت أول مرة على الإسلام الحق أو الدولة التى يجب أن تقوم على قواعد هذا الإسلام الخالد ، وهى دولة لسنا نراها اليوم فى أية ناحية من نواحى الأرض .
« التحرير »

على الشرك لترتفع بالإنسانية إلى أعلى درجات الفضائل وتوزع العدل بين الناس بالقسطاس المستقيم ، ثم تآمرت عليها الصليبية الجشعة بضعة قرون ، وارتكبت ضدها من الفظائع ما يبرأ منه سيدنا المسيح عيسى بن مريم ، ونحن حينما نكتب عن جرائم العالم المسيحى نؤكد بادىء ذى بدء أن تلك الشعوب التى تدعى المسيحية قد كفرت برسالة عيسى بن مريم ، ورسالة المحبة بين الناس ، فدين عيسى لا يبيح القرصنة والاستعمار ولا يجيز إراقة الدماء ونهب خيرات الشرق ، ولا يعترف بالبابويه التى أوقدت نيران الحروب الصليبية ضد المسلمين ، فلما فزعت من نور الإسلام الذى حرم بيع صكوك الغفران واستنكر وجود وسطاء بين المرء وربه ؛ وإعادة بناء الدولة الإسلامية هو الضمان الوحيد لإقامة علاقات دولية على أسس سليمة ، بل صمام الأمن فيما نحن بصدده من مشكلات عالمية . ولإقناع العالم الضال بهذه الحقيقة نرانا مضطرين لمراجعة التاريخ وبحث أثر الإسلام فى العلاقات الدولية ، يوم أن قامت للمسلمين دولة عظمى ، وسيتضح من ثنايا هذا البحث فضل الإسلام على العالم كله فيما يزعم الغرب أنه من بنات أفكاره من صور الحضارة وأسباب العزة .

وسينهار الإدعاء الصليبي الاستعمارى الذى نسب إلى المسلمين تأخرهم لتمسكهم بالدين ، كى يصرفهم عنه ويتسع المجال للاستعمار ، وستظهر حقيقة ثالثة يجب أن نعلنها بكل شجاعة ، ومن غير مواربة ، وهى أن الحرب الصليبية التى أخفقت فى العصور الوسطى قد استمرت رحاها دائرة ، وحطمت آخر امبراطورية إسلامية ، لما قتلت الرجل المريض فى القسطنطينية فى سنة ١٩١٨ ، ثم استمرت تعمل فى الظلام حتى كتابة هذه السطور ، وقد آن للعالم أن يتحرر من هذا التعصب الأعمى ويدرك فضل الإسلام على الحضارة وأنه لا سلام بلا إسلام ، ولا خلاص إلا بقيام دولة المسلمين .

وخطتنا فى هذا البحث تنقسم إلى الأبواب الآتية :

أولا — فكرة الدولة فى الإسلام ، وأسس الحياة الدولية فى شريعة محمد ابن عبد الله .

ثانياً — الإسلام والعلاقات الدولية قبل الحروب الصليبية .

ثانياً — الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى أوروبا فى العصور الوسطى .

ثالثاً — كيف انتقلت الحضارة إلى أوروبا عن المسلمين ولا سيما المراحل التى شنت فيها الحروب الصليبية .

رابعاً — التآمر ضد الإسلام بدوافع استعمارية وتعصبية .

خامساً — الحروب الصليبية ونتائجها .

سادساً — طرق الملاحة العالمية كوسيلة لفرض سيطرة الغرب على الشرق .

سابعاً — الاستعمار الأوربي ومراحله المختلفة .

ثامناً — انهيار الدولة العثمانية ونتائج هذا الإنهيار .

تاسعاً — المسلمون فى معترك الحياة الدولية الحديثة .

عاشراً — أسس جامعة إسلامية(١) .

والله نسأل أن يوفقنا لمعالجة هذه المسائل فى المقالات التالية ، إن شاء الله .

كل ينفق مما عنده

مرّ المسيح ابن مريم بقوم من اليهود فقالوا له شراً ، فقال خيراً ؛ فقيل له : إنهم يقولون شراً وتقول خيراً ؟ فقال : كل ينفق مما عنده .

---

(١) الجامعة الإسلامية التى نعنيها هى الجامعة التى تقوم على أساس الإسلام البين الصريح ، ولحساب المسلمين دون مؤثر من غيرهم ، وهى حين تقوم على هذا الأساس وبهذه الروح ستكون خيراً للانسانية كافة ، أما ما سوى ذلك من مشروعات على مسرح السياسة العالمية ، فهى لا تدرى من أين بدأت ولا نعلم حقيقة وجهتها .

« التحرير »

قصة تمثيلية

سنة أبينا ابراهيم

للأستاذ علي أحمد باكثير

المنظر : قاعة فى دار الوزير شاور بن مجير السعدى وزير العاضد بالله الفاطمى .

شاور : (يدخل فيرى جماعة من رجاله واقفين) هل هيأتم كل شىء ؟

أحدهم : (ميمون) نعم ياسيدى الوزير .

شاور : من رئيسكم اليوم ؟

الجميع : ميمون .

شاور : أجل . . له عليكم الطاعة فى كل ما يأمركم به . مهما يأمركم فأطيعوه ونفذوا أمره ، أتسمعون ؟

الجميع : نعم .

شاور : ستقومون اليوم على خدمة ضيوفنا الكرام أسد الدين شيركوه وأمرائه فالنظام النظام ، فإن أسد الدين رجل نقّادة لا يفوت عينه شىء .

(يدخل شجاع بن شاور)

شاور : أين كنت منذ حين ياشجاع ؟

شجاع : هل لى أن أتحدث إليك وحدنا ؟

شاور : اذهبوا الآن وتأهبوا لاستقبال ضيوفنا الأعزاء .

(يخرجون) .

شاور : ماذا عندك يابنى ؟ بل خبرنى أولا أين كنت ؟

شجاع : كنت عند أسد الدين شيركوه .

شاور : عجباً ... أي شىء ذهب بك إليه وأنت تعلم أنه مدعو عندنا اليوم ؟

شجاع : ذلك مادفعنى إلى زيارته .

شاور : أذهبت تستعجله القدوم ؟

شجاع : لا يا أبى بل ذهبت أستطلع ما عنده لأرى هل عنده أى ارتياب فى نيتك .

شاور : ارتياب فى نيتى ؟ ماذا تقصد ؟

شجاع : لا تتجاهل قصدى . . إنك تعلم ما أريد .

شاور : (بعد صمت قصير) أنت كثير الوسواس يا بنى فماذا وجدت عنده ؟

شجاع : لم أستطع أن أستطلع منه شيئاً فهو بعيد الغور كما تعلم .

شاور : (فى حدة) ويلك أهذا كل ما عندك لتحدثنى به على انفراد ؟

شجاع : أصغ إلى يا أبى . إن بلادنا هذه قلعة من قلاع الإسلام الكبرى إذا سقطت فى أيدى الصليبيين فلن تقوم للاسلام قائمة .

شاور : هذا حق .

شجاع : وأنت تعلم طمع القوم فينا ، ولولا خوفهم من نور الدين بالشام وما علموا من حرصه على دفعهم عنا لكانوا . . .

شاور : (مقاطعا فى برم) ما أنت وهذه النصائح ؟ أتحسبنى لا أعلم هذه الحقائق ؟

شجاع : أفلا يحسن بك إذن أن تقلع عن الكيد لأسد الدين شيركوه هذا الذى أنجدنا به نور الدين المرة الثالثة لما استنجدناه ؟

شاور : (يتضاحك) ويحك يا بنى أما زلت تتهمنى بالكيد لهذا الرجل ؟

شجاع : نعم . . كأنما لم يكفك ما خنته من قبل ونقضت عهده مرة بعد مرة .

شاور : قل عن الماضى ما شئت . أما اليوم فقد ترى أنى أحبه وأجله ، ومن ثم دعوته اليوم لأوكد له مودتى وإخلاصى .

شجاع : بل لتغدر به غدرة مخزية . لتكيد له ولرجاله وهم فى ضيافتك !

شاور : (غاضبا) اسكت ! قطع الله لسانك ، لو سمعك أحد تقول هذا لظن أنه حق !

شجاع : لا تحاول يا أبى أن تخدعنى فقد علمت كل شىء .

شاور : ويلك أتتجسس على أبيك يا قليل الأدب ؟

شجاع : أجل إن من نكد الدنيا علىّ أن يكون قصارى عملى هو التجسس عليك لأحول بينك وبين جرائرك وفواقرك !

شاور : ليتك قتلت أنت وبقى لى شقيقك طيء فلقد كان نعم الولد البر المطيع !

شجاع : يا أبى لو كان أخى طيء حياً ما وافقك على ما تصنع اليوم !

شاور : اكفف لسانك عن طيء . . . لقد قاتل معى قتال المستميت حتى قتل دونى .

شجاع : إنما خف معك لقتال ضرغام حين أراد هذا أن يتوثب عليك وما كنت حينئذ خائنا لبلادك ، ولم تكن قد حاولت بعد أن تبيع وطن المسلمين لأعدائهم الفرنج كما دأبت فيما بعد .

شاور : كذبت . ليس فيما أنوى اليوم شيء مما ذكرت . إنما أردت أن أحول دون هذا الشامي الغريب على الوزارة مكانى . أفتريد ياغبى أن أسكت له حتى يتخلص منى ويأخذ منصبى ؟

شجاع : يا أبي العزيز ليس يعنيه غير أمر واحد هو ألا تقع بلادنا فى قبضة الصليبيين

شاور : ومن قال لك أنى سأدعها تقع فى قبضتهم ؟ !

شجاع : ها كها إذن سافرة ! إنك قد راسلت الصليبيين مرة أخرى لتسلم البلاد إليهم !

شاور : ويلك هذا بهتان !

شجاع : بل هذا حق ! وعندى البرهان !

شاور : أى برهان ؟

شجاع : البرهان الذى يدينك بالخيانة لو أبرزته لشيركوه أو للخليفة العاضد .

شاور : ماذا تعنى ؟

شجاع : الرسالة التى بعثتها للقائد الصليبى فهى ذى عندى .

شاور : كلا إنها ليست منى .

شجاع : بخطك وعليها خاتمك .

شاور : ويلك كيف وقعت فى يدك ؟

شجاع : هذا ليس من شأنك .

شاور : إذن فأنت الذى عطلت تدبيرى ياللعين .

شجاع : بل كفيت البلاد شر خيانتك .

شاور : أرددها إلىّ .

شجاع : هيهات .

شاور : ويلك أتريد أن تسلمها لشيركوه ؟ أتريد أن تقتلنى ؟

شجاع : إذا شئت ألا أسلمها لشيركوه فأطع ما آمرك .

شاور : ماذا تريد ؟

شجاع : مر رجالك جميعاً أن يتركوا الدار الآن حالا .

شاور : والضيوف ؟

شجاع : سنستقبلهم أنا وأنت وحدنا .

شاور : كلا لا أستطيع أن أعرض نفسى للخطر .

شجاع : إنك تضيفه اليوم بزعمك فأى خطر عليك من ضيفك إلا إذا كنت تنوى به السوء ؟

(يدخل ميمون وخلفه اثنان من رجاله)

ميمون : معذرة يا سيدى إن ضيوفك قد أقبلوا .

شاور : قد أقبلوا . . استقبلوهم إذن . . انطلقوا .

ميمون : أقبلوا يا سيدى فى جيش لجب .

شاور : فى جيش لجب ؟ !

ميمون : نعم كأنما يريدون قتالنا !

شاور : (ينظر إلى شجاع كأنما يريد أن يقرأ مافى وجهه) . . . . ؟

شجاع : لا ريب أن الرجل ارتاب فى نيتك ، فأظهر له الساعة أنك لا تنوى به شرا . اصرف رجالك كلهم عن الدار ولا يبق منهم هنا أحد ، ودعنا نستقبله وحدنا أنا وأنت .

شاور : (غاضبا) بل أنت الذى دبرت هذا يا خائن ! اقبضوا على هذا الكلب !

شجاع : (يخترط سيفه فيصوبه إلى صدر أبيه) إن تحرك منهم أحد أغمدت هذا السيف فى صدرك !

(يتوقف الرجال الثلاثة لا يدرون ماذا يصنعون)

شجاع : مرهم بأن يرموا أسلحتهم هناك فى الأرض وإلا فوالله الذى لا إله إلا هو لأقتلنك !

شاور : أطيعوا هذا المجنون ! (يرمون أسلحتهم ناحية فى الأرض)

(تسمع جلبة عظيمة خارج القاعة ويرتفع خلالها صوت جهورى يصيح) من ألقى بسلاحه فهو آمن ! من ألقى بسلاحه فهو آمن !

شاور : (لابنه) أيها الجاهل المأفون سوف ترى أنهم لن يبقوا عليك بعدى . سيقتلوننى ثم يقتلونك !

شجاع : لأن نقتل يا أبى والبلاد فى أيدى المسلمين خير من أن نعيش والبلاد بأيدى الفرنج (يقتحم القاعة خمسة من رجال شيركوه بينهم قائد اسمه رستم)

شاور : رستم ! خلصنى من هذا الولد العاق . . هذا الذى أراد أن يكيد للأمير

أسد الدين فى دارى وبغير أمرى ! لقد أراد قتلى لما نهيته !

رستم : (لرجاله الأربعة) اقتلوا الخائن ! (مشيراً إلى شجاع)

شجاع : بل اقبضوا على رستم هذا فهو جاسوس أبى عليكم !

رستم : (يثب على شجاع بضربة سيف فيلقيه صريعا) خذها يا خائن !

شجاع : (يصيح) اقبضوا على رستم ! إنه قتلنى لئلا أكشف سره لأسد الدين !

(يدخل أسد الدين شيركوه ومعه فريق من حرسه وهم شاكو السلاح .

أسد الدين : (صائحاً) مكانكم جميعا ! لا يتحرك منكم أحد ! (لرجاله) أقبضوا على هذا (مشيراً إلى رستم)

رستم : علام ياسيدى الأمير ؟

أسد الدين : اخرس ! قد كشفت اليوم أمرك !

شاور : (يرتمى على ابنه وهو يتصنع البكاء) ولدى ! ولدى !

شجاع : ابتعد عنى ! لست ولدك ! (يصيح) كلا لاتأخذ الرسالة منى ... سأسلمها لأسد الدين !

أسد الدين : (لرجاله) خذوا هذا الشيخ ! (يقبضون على شاور وينهضونه من الأرض)

أسد الدين : (يلتفت إلى طبيبه) أسعف الشاب الجريح يانسطورس .

نسطورس : سمعاً ياسيدى الأمير .

أسد الدين : (يدنو من شاور) هات مابيدك .

شاور : إنها رسالة تخصنى .

أسد الدين : (ينتزعها من قبضة يده) هاتها ويلك .. (ثم لرجاله) سوقوا هذين الخائنين إلى المعسكر ، وقولوا للأمير صلاح الدين ينتظر فيهما أمرى .

(يخرج الرجال بالأسيرين شاور ورستم ولايبقى مع أسد الدين غير صفوة حرسه) .

أسد الدين : (يدنو من الطبيب) كيف تجده يانسطورس ؟ هل من أمل فى إنقاذه ؟

نسطورس : (يتمتم) ضعيف ياسيدى الأمير .

أسد الدين : (فى أسى) مسكين : فدانا بروحه وآثرنا على أبيه .

شجاع : (يفتح عينيه ويتمتم) أين أنا ؟ أين أسد الدين شيركوه ؟

نسطورس : ها هو ذا بين يديك .

أسد الدين : شجاع . ألا تعرفنى ؟

شجاع : أجل . الحمد لله إذ سلمت من كيد الخائنين .

أسد الدين : بفضلك ياشجاع . والله لاندرى كيف نقوم بشكرك .

شجاع : كلا لا تشكرنى يا أسد الدين ، إنما فعلت ذلك من أجل الإسلام لا من أجلك . . سامحنى يا أسـد الدين . إذ لم أخبرك بهذه الخيانة من قبل . فقد كنت أطمع أن يهدى الله والدى إلى سواء السبيل .. ولـكن . . (تخنقه العبرة) .

أسد الدين : لا تبتئس يا بنى فقد أديت أنت ما عليك .

شجاع : هل لك فى معروف تسديه إلى يا أسد الدين قبل أن ألقى الله ؟ .

أسد الدين : اقترح ما تشاء أنفذ طلبك .

شجاع : إذا قضيت على شاور بالقتل فلا تقتله حتى تستتيبه عسى أن يتوب الله عليه فإنى أخشى . . (تخنقه العبرة ثانية) .

أسد الدين : ماذا تخشى يابنى ؟

شجاع : أخشى ياسيدى ألا أراه فى الدار الأخرى أبداً .

أسد الدين : أما إنك لتحبه يا شجاع .

شجاع : (بصوت متقطع) كيف لا ؟ إنه أبى . . أبى

أسد الدين : اطمئن يا بنى فسأفعل ما تريد .

شجاع : (بصوت كالحشرجة) جزاك الله خيراً يا أسد الدين (يموت)

أسد الدين : (يحركه) شجاع ! شجاع !

نسطورس : انتهى يا سيدى الأمير .

أسد الدين : (يقبل جبينه باكياً) الحمد لله الذى جعل فى المسلمين مثل هذا حتى اليوم .

« بهتار »

السياسات الاقتصادية فى الإسلام

للأستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بالباكستان

(٢)

على أن من الاقتصاديين ـ وأولهم وعلى رأسهم العلامة مارشال ـ من يرى أن علم الاقتصاد دراسة للثروة من ناحية ومن ناحية أخرى دراسة للانسان ذاته ، ولكن هؤلاء يقصرون دراسة العلم على الناحية « المادية » فما حقق خيراً « مادياً » دخل فى عداد هذا العلم . وهنا الثغرة التى ينفذ منها الفساد فكم من « خير » مادى لايحقق « السعادة » التى تسعى إليها البشرية فى مركبها الحافل من فجر التاريخ حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ما فائدة أن نجعل لكل فرد فى هذا الدنيا قصراً منيفاً وزينة ومتعة وسيارة ومذياعا . . . الخ ما فائدة كل ذلك إذا لم تستشعر النفس الهدوء وإذا لم يكن لها مثل أعلى تسعى إليه وإذا لم تجد بعض « السعادة » الحقة فى هذه الدنيا الفانية . ألا صدق الله تبارك وتعالى إذ يقول : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » .

* * *

إذا ثبت لنا أن السياسات الاقتصادية الحاضرة مبنية على أسس خاطئة فللمرء أن يسأل : هل قرر الإسلام نظما موضوعة وبين سياسات مرسومة حتم على المسلمين أن يسلكوا سبيلها فى دنياهم المعاشية ؟ ؟

من علماء المسلمين من يظن أن الإسلام وقد جاء للناس كافة ، وللأزمان المتعاقبة لم يحدد سياسة اقتصادية بل ترك ذلك للناس فى مختلف العصور يقررون ما هو خليق بهم ونافع لهم « أنتم أعرف بأمور دنياكم » وأنه لم يقرر إلا ما سبق أن ذكرناه ومثله من المسائل العامة دون تحديد أو تفصيل ، وهم يرون ذلك أدنى إلى منطق الإسلام

وطبيعتة ، فلئن كانت الرأسمالية لازمة لتطور الإنسان فى عصر من العصور فهى معوقة ما أدت رسالتها وانتفت حكمتها ، ولئن كانت الاشتراكية هى النظام الطبيعى الذى يعقب الرأسمالية فنى الإسلام ما يبيحها ، ولئن كان تطور المجتمع سيورث الشيوعية بعد الاشتراكية المعتدلة فقد وعى الإسلام ذلك وأباحه فيما لا يخالف المبادىء الإسلامية ، وبهذا يفسر أولئك العلماء ما جاء فى أحكام الإسلام من تخالف القواعد الاقتصادية الخاصة بالملكية الفردية والملكية الجماعية والإنتاج الفردى والاستغلال الإيجارى وتحريم كل منهما .

وهناك فئة أخرى من مفكرى الإسلام لا ترى هذا الرأى وتنتقده بأن الإسلام لم يفرط فى شىء وأنه دين عملى مثالى « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » وأنه شامل كامل ولئن صح اختلاف تطبيق بعض قواعده العامة باختلاف الأعصر والأزمان والبيئات فإن الكليات باقية وهى فى حد ذاتها تكون نظاما مكتملا لا تعارض فيه ولا تضارب ، بل إنهم ينزهون الدين الإسلامى عن هذا القصور ، ويعللون ما جاء فى بعض الأحكام التى تبيح الملكية الفردية بأن ذلك حكم مؤقت ليس المقصود به إقرار الأمر أو تحبيذه ولكن يقصد به استدراج جمهرة المسلمين من وضع إلى وضع أحسن وأرقى ، ويقيسون ذلك بإباحة الرق فى الإسلام إذ لم تكن تلك الإباحة المقيدة إلا تعليماً للناس وتمشيا مع سنة الخلق فى التدرج من البداءة إلى الكمال البشرى .

ومهما يكن من أمر فإن المتدبر فى أصول الإسلام يرى أمورا غاية فى الوضوح والدقة وإذا ما اتخذت أساساً للبحث والتطبيق فلن يكون هناك مجال للخلف والتباين .

* * *

حق الأفراد وواجب الدولة : قلنا أن الإسلام يفترض أن يعيش معتنقوه فى بيئة منظمة وهو يغالى فى النظام فى جميع مظاهره وفى الحديث « إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم واحدا » فهو لا يقبل الفوضى ولا يعترف بها . من أجل هذا أقام النبى صلوات الله عليه دولة بكل مافى الكلمة من معان . وما دامت هناك دولة فلابد من حقوق وواجبات ولابد من تقنين وضوابط وإلا عمت فوضى أوخم عاقبة وأشد وطأة .

قرر الإسلام للفرد قِبل الدلة حقوقا معينة نجملها فى الأمور الست الآتية : —

١ — حق المأكل والمشرب . ٢ — حق المسكن . ٣ — حق الملبس .

٤ — حق التعلم . ٥ — حق العمل . ٦ — حق النقد والمقاضاة والحكم .

والأمر السادس — وإن كان له أهمية بالغة فى الاقتصاد إلا أنه فى باب السياسة

« أدخل وقصد الشارع بتقرير هذه الحقوق ألا يجوع مسلم فى الدولة الإسلامية وألا يعطش أو يعرى وألا يبيت بلا مأوى وألا يجارى البهم جهلا وألا يعيش عالة على من عداه . وقد ورد فى ذلك كثير من الآيات والأحاديث فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع إلى جانبه وهو يعلم » وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اكسنى يا رسول الله فأعرض عنه الرسول — لعدم استطاعته — ثم عاد فقال : اكسنى يا رسول الله فقال « أمالك جار له فضل ثوبين؟ » قال بلى غير واحد قال « فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة » — وقال صلوات الله عليه « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال راوى الحديث فذكر أصنافاً من المال حتى رأينا أن لاحق لأحد منا فى فضل . وعن جابر بن عبد الله أنه قال «يامعشر المهاجرين والأنصار إن من اخوانكم من ليس له مال ولا عشيرة فليضم أحدكم إليه الرجلين والثلاثة » وقال صلى الله عليه وسلم « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع ، بخامس » وحكى رسول الله « أن رجلا دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته فقال يا رب هذا عبدى فوق درجتى ، قال نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك » وعن أبى هريرة « تكون إبل للشياطين وبيوت للشياطين ، فأما إبل الشياطين فقد رأيتها ، يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيراً منها ويمر بأخيه قد انقطع فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلا أراها إلا هذه الأقفاص التى تستر الناس » — ولعمرى لو رأى الرسول عليه السلام هذه السيارات وتلك القصور التى ينعم بها الأغنياء لأبدل بها النجيبات والبيوت . . .

وقال عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وقال تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين » وغير ذلك من الشواهد تفيض به كتب الحديث الشريف ويستشف من سيرة المصطفى عليه السلام وسيرة من خلفه من الراشدين.

رب قائل يقول إن ما أسلفناه جميعه من باب النصيحة ، وهذا وإن كان صحيحاً فى ظاهرة إلا أن الحقيقة هى أن قول الرسول عليه السلام أمر « وما آتاكم الرسول فخذوه » وأن الأفراد لو اتبعوا النصح فى كل معاملاتهم لما احتاجوا إلى قانون ولكن الطبيعة البشرية تحتم وجود القانون والعقاب والزجر . وهكذا تحمل وصايا الرسول على أنها أوامر تجب لها الطاعة وكليات ينظمها القانون الوضعى فلا بد من كفالة إجتماعية يضمن فيها للفرد ضروريات حياته ويطمئن فيها على موارد رزقه ، وذلك

فى صورة عامة وفى حدود دنيا لايصح النزول عنها [١] . من أجل هذا كنا نجد رسول الله صلوات الله عليه يأكل مما يأكل الناس ويلبس مما يلبس الناس ويمشى فى الأسواق ويسكن كما يسكن القوم ويعمل بيديه ويتعلم من لدن حكيم خبير ويعلم الناس مما علمه الله وخلفه الراشدون رضوان الله عليهم فما تميزوا عن رعيتهم فى مظهر ولا شبعوا يوما وبطن فرد من أفراد أمتهم خواء .

هذه الحقوق الأولية أوجبت على الدولة عبئاً ثقيلا ، ولئن كانت حياة الناس فى صدر الاسلام هينة رغيدة بما حققت الدولة من فتوحات وبما أفاءت الفتوحات من مغانم فلم يحتج الأمر إلى تنظيم اقتصادى خاص إلاّ أن التاريخ أورد لنا أن واجب الدولة نحو الفرد فى النظام الإسلامى يستلزم أن يكون للدولة سلطان واسع على تصرفات الفرد وفى الحد من حريته وفى فرض الضرائب المختلفة وليس أدل على ذلك مما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى عام المجاعة فإنه لما رأى القحط اشتد والطعام نادر والناس متفاوتة الأرزاق ، ولما أحس أن من بين رعيته من ينام على الطوى ومنهم من يختزن أكثر من كفايته صادر الكثير من الطيبات وأودعها بيت المال وقسمها على الناس كل بقدر حاجته ولم يعترض آنئذ على عمر أحد من الصحابة بل أقروه على ما فعل . [٢]

هذه السابقة لها خطورتها وأهميتها فهى مفتاح لكثير من المغلقات ، إذ استنت قاعدة خطيرة فى سياسة الاقتصاد الإسلامية وهى سياسة اشتراكية من نوع خاص Generis فهى تفسير واسع لقوله صلى الله عليه وسلم « إن فى المال حقاً غير الزكاة » وهى تعميم لقوله عليه السلام « إنّ المسلمين شركاء فى ثلاثة : الماء والنار والكلأ » وعلى هذا الأساس فإن الدولة الإسلامية حتى يمكنها أن تعول أفرادها وأن تلتزم قبلهم بواجبها وأن تؤدى حقوق الفرد السالف ذكرها فلها أن تصادر الثروات وأن تعيد توزيعها بين الناس بالشكل الذى يحقق أكبر قسط من العدالة وبالطريقة التى تلائم العصر الذى يعيش فيه المسلمون .

هنا يقف المرء قليلا متمعناً ؛ فقد صادر عمر بعض الطيبات «الاستهلاكية» ولكن هل يبيح الإسلام مصادرة الطيبات « الإنتاجية » ؟ وبمعنى آخر ما موقف الإسلام من الملكية الخاصة ، هل يبيحها إطلاقا أم يورد عليها بعض القيود ؟ أم هل يجيز الإسلام

---

(١) وهذا يؤيدنى فيه كثير من الفقهاء الذين رأوا أن كل ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة الطلب فهو أمر لازم إلا أن يصرف عن ذلك صارف .

(٢) نعم القوم الأشعريون كانوا إذا جهدوا من سفر أحضروا ما معهم فقسموه بينهم بالسوية .

مصادرة رأس المال المنتج أيضا وضمه للدولة إذا كان فى هذا صلاح لأمر الرعية ؟ وأخيراً هل سكت الإسلام عن هذه المشكلة التى تحتل أذهان كل فرد فى عصرنا الراهن والتى يصطرع من أجلها العالم الغربى الديمقراطى والعالم الشرقى الشيوعى ؟

* * *

حق الملكية الفردية : يقول الحق تبارك وتعالى « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » ويقول « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ويقول : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ويقول: «آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » ويقول : «أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » .

وعن جابر بن عبد الله : كان لرجل منا فضول أرضين فقالوا لو أجرها بالثلث أو بالربع أو النصف فقال الرسول عليه السلام « من كانت له أرض — أى واسعة — فليزرعها أو يمنحها أخاه ، ولا يؤاجرها إياه أو يكريها » . وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى أرض تهتز زرعا فقال : « لمن هذه الأرض ؟ » فقالوا : أكراها فلان فقال : « لو منحها إياه كان خيراً من أن يأخذ عليها أجراً معلوما » .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة سقناها على سبيل المثال وفى القرآن كثير غيرها يؤيدها ويعاضدها وفى الأثر الشريف من الأحاديث مايعزز ما ذهبنا إليه ويثبته، فالقاعدة العامة هى أن الله سخرلنا موارد الأرزاق وهو الذى فطر السموات والأرض وما فيهن ، فكل ما على هذه الأرض من خلقة ، وقد قال الله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً » ويقول « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب» ويؤمن علماء الطبيعيات على هذا القول الربانى فيقررون أن الانسان لا يستطيع خلق المادة ولكنه يستطيع تحويلها من شكل إلى آخر . إذن فالمقدمة الأولى هى أن معادن الأرض وخيراتها المستغلة فى الانتاج ، أو بعبارة أخرى ، جميع الطيبات « الانتاجية » فى عناصرها الأولى هى من هبة الخالق وفضل الطبيعة وليس للعمل أو للانسان دخل فيها ، إنما يعمل الإنسان ليغير من شكلها أو ليوافق بينها وبين رغباته التى يستمدها منها .

(يتبع)

العبرة في يوم حنين

للأستاذ محمد الطيب النجار

أستاذ التاريخ الإسلامي بالأزهر

كان يوم حنين في الخامس من شوال وفي العام الثامن من الهجرة النبوية ، وكان هذا اليوم الخالد صدى لابد منه ليوم الفتح الأعظم وامتدادا طبيعيا لتياره القوى ، إذ كان موقف المسلمين - وقد أتم الله عليهم النعمة بفتح مكة - يحتم عليهم ألا يطيلوا الانتظار بها أو يطمئنوا إلى الاستقرار فيها ، فهي حينئذ واد لم تطهر مسالكه وشعابه ، بل هي بيت لم تؤمَّن نوافذه وأبوابه ، ولئن كانت قريش قد اعترفت بالأمر الواقع وأذعنت لرسول الله وللمسلمين ، فلا يزال على مقربة منهم قبائل هوازن ونصر وجشم وهم عدوٌّ يتلمس الفرص ويتربص الدوائر ، ويرى في دخول المسلمين إلى مكة مؤيدين بهذا النصر المبين شرا مستطيرا يهددهم في ديارهم وعقيدتهم ، وهو شر يجب القضاء عليه أو الموت دونه . . . ومن أجل ذلك فقد بدأوا يجمعون جموعهم بقيادة مالك بن عوف النصرى ويريدون العدوان على المسلمين وكان هذا العمل من جانبهم حافزا للمسلمين إلى الإسراع في درء هذا الخطر واستئصاله قبل أن يتسعر لهيبه ويتفاقم شره ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاء هوازن في جيش ضخم اهتزت له البطحاء وتسمع العدو إلى أنبائه في خوف وحذر إذ كانت عدته اثني عشر ألفا . حتى لقد أعجب المسلمون بكثرتهم وقال بعضهم لبعض : لن نُغلب اليوم من قلة ، وحتى قال بعض الشعراء من المسلمين ينصح إلى هوازن بالإذعان والتسليم .

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها ... مني رسالة نصح فيه تبيان

أني أظن رسول الله صابحكم ... جيشاً له في فضاء الأرض أركان

تكاد ترجف منه الأرض هيبته ... وفي مقدمه أوس وعثمان

***

وتروي لنا كتب السيرة كيف وقعت المعركة ، وكيف تفرق المسلمون في أول الأمر ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً حينما كرت عليهم هوازن في عماية الفجر ، وكيف ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كالطود الراسخ يهزأ بهذه العاصفة الحمقاء ، ثم اجتمع إليه المؤمنون المخلصون حينما سمعوه يقول : « إلى أين أيها الناس ؟ هلم إلى ، أنا رسول الله ، أنا رسول

الله ، أنا محمد بن عبد الله » وحينما سمعوا عمه العباس ينادى بأعلى صوته : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان . . فأجابوا ، لبيك لبيك « ثم أنزل الله السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة . . » فلا يعنينا إذن أن نطيل الوقوف أمام تلك المعركة بسرد تفاصيلها فقد أوسعت كتب السيرة الكلام فى هذا الصدد ، ولكننا سنقف لدى بعض العبر فيها عسى أن يكون لنا فى ذلك الماضى الكريم ما يحفز همتنا إلى حاضر جليل ومستقبل عظيم .

***

ففى يوم حنين تلاقى الجمعان : فئة كثيرة تقاتل فى سبيل الله وفئة قليلة تقاتل فى سبيل الطاغوت ، ومن عجب أن الفئة الكثيرة المؤمنة يتخلى عنها أول الأمر نصر الله وتأييده فتغلبها الفئة القليلة الكافرة . . ! ! فكيف ينتصر الباطل القليل على الحق الكثير وللحق دائما قوته ومضاؤه ؟ وكيف يستطيع الكفر هذا المضى والإقدام ، وتثبت له أمام الإيمان أقدام ؟ لقد أوضح الله عز وجل ذلك فى محكم كتابه فقال : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » . فالآفة كلها حينئذ هى الغرور ، والداء كله هو عدم التبصر واليقظة فى الأمور ، فلقد ظن المسلمون أن كثرتهم ستصل بهم إلى نصر حاسم لا ريب فيه ، ونسوا — إلا قليلا منهم — أن العناية الإلهية هى أبداً أساس النصر والظفر ، وأن كثرة العدد وحدها ليست كل شىء فى ميادين الحروب ؛ إنما القيمة الكبرى فى الإيمان الذى يملأ النفوس ويعمر القلوب .

ولو استرجع المسلمون فى يوم حنين تاريخهم قبل ستة أعوام لرأوا أنفسهم فى يوم بدر فئة قليلة ، ولكن الله نصرها نصراً مؤزراً على الفئة الكافرة الكثيرة . ! ! ذلكم بأنهم فى يوم بدر لجأوا إلى الله وحده لا إلى قوتهم ، واعتمدوا على حوله وقوته لا على كثرتهم ، ومن هنا نلتمس العبرة والموعظة الحسنة ، والناس دائماً ـ أفراداً وجماعات ـ يتدافعون فى معترك الحياة على أساس من القوة المادية . وهم فى ذلك فريقان : فريق يرى أن هذه القوة وحدها هى كل شىء فهى التى تتحكم ، وهى التى تنقض وتبرم ، وهى التى توجه دفة الأمور وقتما تشاء وأينما تشاء . . . وفريق آخر يرى أن القوة المادية مهما بلغ أمرها إن لم تركن إلى خالق القوى فهى بنـــاء لا أساس له سرعان ما يتداعى وينهار ، وهذا الصنف من الناس هم الذين وقف التاريخ دائماً بجانبهم يؤيدهم ويؤكد رأيهم ، وهم الذين يبنون المجد الخالد فلا تعصف به الأنواء ؛ بل تتحطم على صخرته ، وتذوب أمام قوته .

... والمسلمون اليوم كثرة ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، وليس يجديهم فتيلا أنهم – على كثرتهم – يتسابقون إلى التسلح المادى إن لم يتسلحوا باليقين والإيمان . . . وما قيمة السيف فى يد الجبان ؟

ولا شك أن هذا الإيمان هو الذى جعل المسلمين بعد أن فرّوا عن نصرة الرسول فى يوم حنين يتذكرون فإذا هم مبصرون ، وإذا هم تحف بهم السكينة . وتشرق فى قلوبهم الطمأنينة . فيندفعون إلى لقاء أعدائهم صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، فينصرهم الله لأنهم – حينئذ – لم يلجأوا إلى كثرتهم وقوتهم ، بل لجأوا إليه ، واعتمدوا قبل كل شىء عليه « وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيرا » .

***

وفى يوم حنين وقع المسلمون فى خطأ لم يعرفوه إلا بعد أن لمسوا عاقبته الوخيمة ؛ فلقد خرج معهم ألفان من أهل مكة وفيهم عدد كثير دخلوا إلى الأسلام ظاهراً ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم . وهؤلاء كانوا فى جيش المسلمين طابوراً خامساً كما يقولون ، وكانوا أضر على المسلمين من الأعداء المحاربين ، وهؤلاء الناس هم طلاب المنفعة العاجلة يلتمسونها حيثما كانت ، وقد وضحت حقيقتهم حينما تفرق المسلمون فى بادىء الأمر عن الرسول . إذ قال أبو سفيان شامتاً : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وإن الأزلام لمعه فى كنانته ، وصرخ جبلة بن الحليد ألا بطل السحر اليوم ، وقال رجل من قريش لصفوان بن أمية : أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبداً ، فغضب صفوان وقال : ويلك أتبشرنى بظهور الأعراب ؟

ولعمرى إن فى ذلك لعبرة وتبصرة ؛ فالأمة التى تلتقى بعدوها لا بد أن تطهر صفوفها من هذا الصنف الخبيث ، وأن تتقدم إلى الميدان نقية من الشوائب ، خالصة من المعاطب ، وإن الجندى الواحد من ضعفاء العقيدة والإيمان لأشد فى الضرر والبلاء من عشرة أعداء . . . فليحذر الذين يجاهدون أعداءهم من هذا الطابور الخامس ، وليستأصلوه من جسم الأمة كما يُستأصل الداء ، وليكافحوه كما يكافح الوباء إن أرادوا الفوز والنجاح .

***

وبعد فإن لنا فى يوم حنين لعبرة نسأل الله أن يجعلها بين أيدينا نوراً يضىء ، وأن تكون أساس الخير فى حركتنا المباركة وجهادنا الميمون . ؟

الحكمة وراء نظام الإرث

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى السباعى

تذهب بعض المذاهب الاشتراكية الحديثة إلى عدم مشروعية الإرث بناء على منعها للتملك الفردى ، وتعلل ذلك بأن قواعد العدالة تأبى أن يملك الوارث مالا لم يتعب فى تحصيله ، وقد يكون المال الموروث مجموعاً من طرق ظالمة ، فليس من العدالة أن يعطى لمن لايستحقه . وأيضاً فهذان ولدان يولدان: أحدهما من غنى ورّثه أبوه أموالا طائلة سينفقها فى اللذة والإثم ، وسيكون عالة على المجتمع لايبذل جهدا ولا يقدم عملا . . والثانى من فقير ليس له مال يورثه ، وعليه أن يسعى بنفسه لتحصيل قوته ، فما ذنب هذا الصبى الفقير ؟ وما ميزة ذلك الغنى ؟ أليس هذا تفاوتاً يجب أن تمنعه العدالة ؟ .

الإرث فى الإسلام :

ولكن الإسلام — كبقية الشرائع السماوية والمذاهب الاشتراكية الأخرى وغيرها من المذاهب الاجتماعية — يعتبر الإرث حقاً شرعيا بناء على إباحته للتملك الفردى ، وكل ماجاز أن يتملك جاز أن يورث .

فمنع الإرث أو مشروعيته ثمرة الخلاف فى الملكية الفردية التى يجيزها الإسلام — ضمن حدود معينة — وتمنعها بعض المذاهب الاشتراكية .

وليس هذا مكان التدليل على صحة النظرية الإسلامية فى الملكية ، ولكن الواجب يقتضى أن نشير إلى أهم المبادىء العامة التى وضعها الإسلام للتمليك والتصرف فى الأموال ، حتى يندفع ماقدمناه من حجج القائلين بمنع الإرث ومازعموه من أنه مناف للعدالة والمساواة .

أهم المبادىء المالية فى الإسلام :

١ — أول مايقرره الإسلام اعتبار الأموال ومافى الأرض من ثروة ومتعة وما فى السماء من طيور ونجوم وشموس وأقمار ، ملكا لله وحده لا ينازعه فيه منازع وفى ذلك تكرر فى القرآن مثل هذه الآيات لتأكيد هذا المعنى وتقريره « لله ملك السموات » . « لله مافى السموات ومافى الأرض » . « وما بكم من نعمة فمن الله » « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » .

٢ — الإنسان فى الحياة أكرم مخلوقاتها ، « ولقد كرمنا بنى آدم » وكل ما فى الكون مسخر له ، فالناس سواسية فى الانتفاع بما خلق الله فى السموات والأرض : « هو الذى خلق لكم ما فى السموات والأرض وسخر لكم الفلك ، وسخر لكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر ، وسخر لكم الليل والنهار » . « سخر لكم ما فى الأرض » « سخر لكم ما فى السموات » .

وانظر ما أروع هذا التعبير وأبعد دلالته ! ! . . الشمس والقمر والسماء والأرض والليل والنهار وكل ما فى الحياة « مسخَّر » للانسان ، وقد قال علماء اللغة : « السخرة ما سخرت من خادم أو دابة بلا أجر ولا ثمن ، وسخرته فى العمل استعملته مجانا ، وسخر الله الإبل ذللها وسهلها » .

٣ — المال وسيلة لا غاية ، وهو إحدى وسائل الخير فى الحياة ، به يتعامل الناس ويتبادلون السلع ، وينفع بعضهم بعضاً ، فالمال خير إن استعمل وسيلة للخير ، وإلا كان شراً يؤدى إلى ضرر الناس ، أما إنه خير فذلك حين يكون وسيلة إلى التراحم ، وسد حاجة البائسين ، وإقامة المجتمع على أسس متينة من التعاون والتساند ، ولهذا عبر عنه فى القرآن بالخير فى مثل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت — إن ترك خيراً — الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف » قال المفسرون إن المراد بالخير هنا هو المال ، ولا مجال لإرادة شىء من لفظ « الخير » فى الآية إلا المال لأنه هو الذى يمكن الإيصاء به وتقسيمه على الوالدين والأقربين .

ويقول الله تعالى عن الإنسان : « وإنه لحب الخير لشديد » ، ويقول على لسان موسى عليه السلام : « إنى لما أنزلت إلىَّ من خير فقير » ، وقد ذهب أكثر المفسرين إلى أن الخير المقصود هنا فى الآيتين هو المال .

وحين يكون المال وسيلة للخير يرغب الإسلام فيه ، ويحمد من يسعى إليه ، بل يوجب طلبه والضرب فى الأرض من أجله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » . « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وفى الحديث المأثور : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

وأما إنه شر فذلك حين يكون غاية فى الحياة يقتتل الناس عليه ، ويركبون الصعب والذلول فى سبيله ، حين يكون شهوة تذل لها أعناق الرجال ، وبهذا يكون بلاء على الناس وعلى الدولة وعلى الإنسانية : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا » .

٤ — وإذا كان المال وسيلة إلى الخير كان على الناس أن يسعوا فى تحصيله ، فالفقر مرض من الأمراض الاجتماعية ليس قدراً من السماء يجب أن يخضع له الإنسان من غير أن يقابله بالسعى والعمل ، ولذلك جاء التعبير فى الحديث عن الفقر بأروع ما يمكن أن يدل على نفرة الشريعة الإسلامية منه وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، وقد كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ فى دعائه من الفقر والجوع والعجز والكسل وغلبة الدّين ، كما كان يستعيذ من الصمم والبكم والجنون وسيء الأسقام ! وورد من دعائه عليه السلام « اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر » فانظر إلى أى مدى اتسعت آفاق الإسلام حتى اعتبر الفقر المحوج المذل لكرامة الإنسان قرين الكفر وزميله فى بشاعة النتيجة وسوء الأثر . . .

٥ — إذا كان الفقر مرضا اجتماعيا وبلاء يستعاذ منه كما يستعاذ من الأمراض الجسيمة وجب على الإنسان أن يعمل بنفسه لتحصيل قوته ، وقد شرف الإسلام العمل واعتبره جهادا ، وذلك حيث يقول القرآن الكريم : « فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه » ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « أفضل الكسب كسبُ الرجل من يده » « إن الله يحب العبد المحترف » ومر النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة برجل فرأى الصحابة من جده ونشاطه ما أعجبهم ، فقالوا يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ! . . فقال عليه السلام : « إن كان خرج يسعى على ولده فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله » . وأجر العامل يجب أن يتكافأ مع عمله وإنتاجه ، فإن كان دون ذلك فهو ظلم والله لا يحب الظالمين « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » وقد توعد الرسول عليه السلام من غمط العامل حقه فلم يعطه أجره الواجب له ، قال الله عز وجل : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

٦ — وإذا كان العمل واجبا وشرفا وجهادا كان من واجب الدولة أن تيسر وسائله للشعب فلا تسمح لقادر على العمل أن يكون عالة على المجتمع يعيش من صدقات الناس ، وقد أخذ رسول الله على صحابته العهد أن لا يسألوا الناس شيئا ، وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله شيئا من المال وهو قوى معافى فقال له الرسول : « أما فى

بيتك شيء ؟ » قال : بلى ! حِلْس (كساء غليظ ممتهن) نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء . قال « ائتنى بهما » ، فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من يشترى هذين ؟ » قال رجل أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يزيد على درهم ؟ » (مرتين أو ثلاثا) قال رجل أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى ، وقال : « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به » ، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده (أى يد القدوم) ، ثم قال : « اذهب فاحتطب وبع ولا أرينّك خمسة عشر يوما » ، ففعل ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مفظع ، أو لذى دم موجع » . فأنت ترى أن الرسول لم يعتبر من عنده درهمان وهو قادر على العمل فقيرا يصح أن يكون عالة على المجتمع ، كما ترى أن الرسول وهو رئيس الدولة قد أوجد بنفسه عملا لرجل عاطل عن العمل . . وليس هذا إلا إيجابا على الدولة أن تؤمّن وسائل العمل لأبناء شعبها .

٧ — كل طريق للسعى وجمع المال حلال إلا ما كان عن طريقين اثنين : (١) الظلم (٢) الغش . فلا يباح جمع المال عن طريقهما ، وبذلك حرم الإسلام الربا والقمار ، والاحتكار والنصب والسرقة وما أشبهها لأنها ظلم ، كما حرم التغرير والربح الفاحش وإخفاء العيب فى السلعة ، والكذب فى رأس المال وغير ذلك من البيوع المحرمة لأنها غش .

٨ — هذا المال الذى يجمعه بالسعى والعمل أمانة فى يده ، فمالكه الحقيقى هو الله ، جعله فى يده ليستعمله فى منفعته ومنفعة الناس « وسخره » له ليكون خادماً مذللاً للانسان ، ومن يعيش معه فى جوار أو بلد أو وطن أو دنيا : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، « وأمددناكم بأموال وبنين » فكما أن الولد أمانة فى يد أبيه لا يملك منه نفسه ولا جسمه وإنما يملك منفعته وحسن استعماله فى الخير ، كذلك الأموال أمانة فى أيدى الناس لا يملكون منها إلا تيسير المنافع وحسن استعمالها فى وجوه الخير .

نعم قد ورد فى القرآن إضافة الأموال إلى الناس وذلك ؛ فى مثل قوله تعالى : « وجاهدوا فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » فهذه إضافة اختصاص بالنسبة إلى العرف

والظاهر ، فمن حاز المال كان فى عرف الناس مالكا له . . . أما فى الحقيقة فيده يد أمانة ، والملك لله وحده لا شريك له .

٩ — إذا كان المال وسيلة للخير ، والمالك الحقيقى له هو الله ، والإنسان مؤتمناً عليه ينفقه فيما ينفعه وينفع الناس ، كان الإنسان بالنسبة لما فى يده من الأموال كالموظف بالنسبة إلى ما فى يده من مال الدولة ، لا يجوز له أن يجور على الشعب ليملأ خزانة الدولة ، ولا أن يجور على الدولة ليملأ جيوب الناس ، وكذلك الإنسان لا يجوز له أن يبخل على نفسه فيحرمها ما تحتاج إليه من أكل ولباس ونفقة ، ولا أن يسرف فى الإنفاق فيبدد المال على ملذاته وشهواته ، بل يجب عليه أن ينفق بالمعروف لا سرف ولا تقتير « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ، « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » وهكذا يقرر الإسلام بأجلى بيان : « أن الملك وظيفة اجتماعية » .

١٠ — وإذا كان الملك وظيفة اجتماعية كان التبذير والترف محل نقمة الإسلام وكرهه ، لما ينشأ عن ذلك من تفاوت بين طبقات المجتمع ، تفاوتاً يثير الكراهية والحقد فى نفوس الذين لا يجدون سعة من المال ، ينفقون ويتنعمون ، ولما ينشأ عن ذلك من فساد أخلاق المترفين وإشاعة الفاحشة والفساد فى المجتمع ؛ وما تزال الطبقة المترفة فى كل أمة مبعث التحلل الخلقى وحجر عثرة فى سبيل كل دعوة إصلاحية تتوخى إنقاذ المجتمع من بؤسه وانحطاطه وتأخره . . وقد تحدث القرآن عن هذه الطبقة — طبقة المترفين المسرفين — بما يثير النقمة عليها ويدل على مزيد كراهيته لها ، فهو يخبر أنها عدوة لكل إصلاح ، محاربة لكل نبى وداعية ومصلح ، تعتمد فى محاربتها للاصلاح على أموالها وأعوانها : « وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين » ويصف المترفين بالظالمين وبالمجرمين : « واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » ويتحدث عنهم بأنهم سبب هلاك الأمة ومبعث خراب الديار والأوطان : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » ويصف ما أعد لها فى الآخرة من عذاب أليم : « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ؟؟ فى سموم وحميم ، وظل من يحموم ، لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين » وأخيراً فهو ينهانا عن إطاعتهم لأنهم مفسدون فى الأرض : « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون » .

« يتبع »

التفاوت في الأرزاق

للأستاذ الدكتور محمد صالح « رحمه الله »

الوكيل السابق لجامعة القاهرة

(٢)

[قلنا فى تقديم هذا المقال فى العدد قبل الماضى إن هذا هو آخر ما كتبه الأستاذ الفاضل رحمه الله ، وقد تأخر نشره فتحدث الأستاذ إلى رئيس التحرير قبل أن يلقى ربه بأيام مذكرا إياه بالمقال ، وقال فى حديثه إنه أراد أن يسوق هذا البحث كتفسير علمى لقول الله عز وجل « نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » وهوذا البحث نقرأه بعد أن غاب كاتبه ، جزاه الله خيراً وأكرم مثواه] « التحرير »

تقسيم الطبقات العاملة :

تنقسم الطبقات العاملة إلى خمس طبقات لا يوجد بينها حدود فاصلة ، بل هى متداخلة بعضها فى بعض ولكنها فى جملتها يمكن تمييزها إلى حد نستطيع معه أن نبين الشىء الكثير من العلاقات القائمة بين الطبقات الاجتماعية والأسباب الرئيسية المؤثرة فى التوزيع وفى القيمه .

١ — طبقة الفعلة : وهم طائفه العمال الذين يعملون مياومة ويشتغلون فى الحفر ونقل الأتربة والحجارة ولا تقدم هذه الطائفة سوى قوتها الجثمانية ويوجد فى داخل هذه الطبقة من يستطيع ويرغب فى العمل المستمر تسع ساعات أو أكثر . . . وهذه القوة وتلك الرغبة لا تتوفران فى كل العمال ، بل ولا فى كل الشعوب . . . والعمل بهذه الكيفية مستطاع لكل شاب ولا يحتاج هذا النوع من العمل إلى تعليم أو تدريب ، وأقصى ما يستولى عليه هذا العامل من الأجر يكون عندما تتكامل رجولته ثم تأخذ الأجرة فى النقصان عندما تضعف قواه الجثمانية .

ويدخل فى عداد هذه الطائفة عمال المصانع الذين يقومون بالأعمال الشاقة . . . وتحتاج الزراعة إلى هذا النوع من العمال للحصاد وغيره .

٢ — طبقة العمال التى لا تحتاج إلى مهارة فائقة لكنها تحتمل نوعا من المسئولية :

ويجب أن يتوافر فيها حضور الذهن واليقظة كعمال المناجم وعمال النقل بالسيارات .

٣ — طبقة العمال المدربين : وينتمى إليها النجار والبناء والميكانيكى وغيرهم وهى الصناعات التى تحتاج إلى عين واثقة واعتياد على الآلات ، ويد ماهرة مدربة . وقد أغنى استعمال الآلات عن استخدام عدد كبير من العمال اليدويين المدربين . أضف إلى هذا أن استعمال الآلات استدعى استخدام طبقة كبيرة من العمال القادرين على صنع الآلات وإصلاحها حتى صار الطلب على العمال الميكانيكيين الأكفاء يتزايد تدريجاً .

وقد يستطيع هذا الفريق من العمال أن يكوّن ثروة وأن يتحمل إلى حدّ ما نفقة أولاده فى المدارس .

٤ — الطبقة الوسطى الدنيا : وهى التى تقرب من الطبقة المتوسطة وتستنكف من العمل الحقير وتصبو إلى الأعمال الكتابية وشبه العقلية كالكتّاب والمحاسبين وصغار التجار وسائقى القطارات والملاحظين والمدرسين فى المدارس الأولية . . . وتستطيع هذه الطبقة أن تتابع تربية أولادها إلى مراتب التعليم كما أن هذه الطبقة تحاول أن تدخر شيئا من دخلها ، وتشعر هذه الطبقة بما فى العمل اليدوى الدرب وغير المدرب من المهانة والمذلة وتضع حداً فاصلا بينها وبين طبقة العمال المدربين لا يتفق مع اختلاف الجزاء ؛ لأن الجزاء الذى تحصل عليه هذه الطائفة لا يختلف عن الجزاء الذى تحصل عليه طبقة العمال المدربين .

٥ — الطبقة العليا : وهى التى تعتبر نفسها أعلى طبقة وهى بلا شك أكثر الطبقات مزايا ويدخل فى عدادها المحامون والأطباء والمدرسون فى مراحل التعليم العليا ، والموظفون العموميون المتحملون لمسئوليّات والمتمتعون بسلطة ، ورجال الأعمال ومديرو الشركات . وهذه الطبقة لا تقنع بكسب ما يسد الرمق بل تتطاول آمالها إلى ادخار المال وتكوين ثروة ، وتستطيع هذه الطبقة أن تذهب فى تعليم أبنائها إلى أقصى مراحل التعليم فى المدارس العالية والجامعات . ولا تبدأ هذه الطبقة فى الكسب الصحيح إلا متأخرة ، إذ يتعين عليها أن تقضى فترة طويلة فى المران والتعليم ويبدأ كسبها ضعيفاً لكنها تتوقع المكاسب العظيمة فى منتصف العمر ولا تقدم على الزواج إلا فى وقت لا تتوافر فيه السعادة الزوجية فيتخذون الزواج زينة . .

وتكوّن الطبقتان الأولى والثانية طبقة قائمة بذاتها ، لا لأن أجورهما متداخلة بل لأنهما يعتنقان آراء متماثلة ويصبوان إلى غرض واحد وأفرادهما لا يتوقعون أكثر من أن تكون أجورهم كافية لسدّ رمقهم ولا يصبون إلى جمع المال وتأثل العقار

أو إلى الحصول على دخل من ثروة مملوكة لهم ، وتشعر باعتمادها على العمل اليدوى كما أنها تشعر بانفصالها عن الطبقات الأخرى وقد تقترب منهما الطبقة الثالثة .

أما الطبقتان الرابعة والخامسة فهما يستشعران التضامن سويا ومع أن دخولهما متفاوتة إلا أن آمالهما واحدة وآراءهما متشابهة ويشتركان فى الشعور بأن العمل اليدوى تحت أقدامهما . . . وتدل ملابسهما على بعدهما عنه وأنهما فى غنية عنه ، وتتوجه مطامعهما إلى أن يدخلا فى عداد طبقة المترفين .

لذلك نستطيع أن نقسم العمال إلى فريقين ، فريق اليد الناعمة ، وفريق اليد الخشنة . . . أما الفريق الذى لا يعمل مطلقاً أى ملاك الأموال التى تعطى دخلا ، فهو يكوّن من الوجهة الاقتصادية البحتة ، فريقاً قائماً بذاته ، لأن دخله لا يحتسب فى عداد الأجور فى أية صورة كانت ولكنه يعتبر فائدة أو ريعاً أو رباحاً احتكارية . لكن هذا الفريق يعتبر بوجه عام داخلا فى نطاق أعلى طبقة إجتماعية فيشترك فى تقاليدهم وترتبطه بهم روابط المصاهرة . .

زوال الموانع الاجتماعية : أخذت الموانع القائمة بين الطبقات فى التداعى والانهيار فى المجتمعات الحديثة وبخاصة فى المجتمعات الديموقراطية وأصبح التنقل من طبقة إلى أخرى يسيراً . وهاك بيان كيفية تأثير هذه التغييرات فى أدنى الطبقات وهى طبقة الفعلة :

وجد دائما فى غابر الأزمان كما يوجد الآن نوع من العمل الشاق القذر يتعين أداؤه مثل حفر الترع وإقامة الجسور والسكك الحديدية والأعمال الزراعية البسيطة كالحصاد وغيره . . وقد توجهت دائما رغبة الأقوياء والممتازين إلى إيجاد فريق من الناس للقيام بهذا العمل مما أفضى إلى الرقيق فى العصور القديمة والقيانة فى العصور الوسطى ويقوم بهذا العمل فى الزمن الحاضر العمال غير المدربين . . وفى بعض البلدان كأمريكا يقوم به الزنوج وفى جنوب أفريقيا يقوم به الصينيون والهنود وهذه الأعمال لا تحتاج إلا إلى قوة جثمانية وهم رقيق المجتمع الذى يعيشون فيه . وبالنسبة لهذا الفريق لا يكون عدم جاذبية العمل أو قذارته سببا لارتفاع الأجور بل العكس هو الصحيح إذ أن أشق الأعمال وأقذرها وأقلها جاذبية تجزى أقل جزاء .

وترجع قلة أجور هذه الطائفة إلى أن أفراداً كثيرين لا يستطيعون القيام إلا بهذا العمل ولا يقدرون على ما عداه مما يترتب عليه هبوط أجورهم ، وهم كذلك محرومون من شق طريقهم إلى طبقة اجتماعية أعلى بسبب عوائق البيئة وانعدام التعلم والتجرد من الكفاية الطبيعية .

وكلما زالت هذه العوائق أو ضعفت صار فى الإمكان خروجها من هذه الطبقة الدنيا والالتحاق بالطبقة التى تفوقها فى المرتبة والاتجاه نحو تساوى الأجور . . وهذه الحركة التى يراد بها الهروب من طبقة إلى أخرى أعلى منها ، قوية فى الولايات المتحدة حيث لا أثر فيها المميزات الاجتماعية وحيث تسود الحرية ويتوافر العلم فى المدارس العامة وقد حطم كل هذا التخوم القائمة بين الطبقات . لكن المهاجرين من الوافدين يحتلون دائما المراكز التى تخلو فى الطبقات الدنيا ولذلك بقيت دائما أجور هذه الطبقة قليلة ، وأوضحت بجلاء الفاصل الاجتماعى بين هذه الطبقة وغيرها .

ويرى بعض الناس أن أجور هذه الطبقة وهى أقل من أجور بقية العمال جزء من نظام الطبيعة . وهى حالة تبعث على الأسى ! ! !

وحرية اختيار العمل من أهم شروط السعادة وليس للعملة العاديين حرية الاختيار فهى معدومة بالنسبة لهم .

وانتشار التعليم وكسر قيود البيئة التى تمكن الطبقات من الترقى كان لهما أثر فى علاقات الطبقات الأخرى . فالكتاب وصغار التجار وأشباههم كانوا فى مأمن من المنافسة وظلوا فى حالة ممتازة بسبب صعوبة التعليم الذى تقتضيه أعمالهم . وقد غير التعليم الإلزامى كل هذا . وزاد عدد الأفراد القادرين على القيام بهذه الأعمال مما قد ترتب عليه اتجاه أمورهم نحو الهبوط إذ أن أجرة الميكانيكى الصناع أعلى من أجر الكاتب فإن الإقبال على المهن الكتابية ما زال كبيراً . . . ويعزى هذا إلى اشتراكها فى إدارة الأعمال وإلى احتمال الترقى إلى وظائف الإدارة والرياسة . . ولو أن هذا الأمل قد لا يتحقق دائماً ، كما أنه يعزى إلى الكراهية التقليدية للعمل اليدوى محاكاة لطبقة المترفين الذين يستولون على ريع بلا عمل . . . وهذا الشعور المتفق عليه وغير المعقول نحو العمل القذر لابد أن يزول ولابد أن يأتى وقت تكون فيه آراء الناس الاجتماعية متمشية مع قوة الكسب . وكل حرفة يجزى محترفها جزاء حسناً لابد أن تكون موضع الاحترام فى النهاية .

لكن تغيرات المراتب الاجتماعية المصطلح عليها لا تقع إلا ببطء ، ومبلغ الاحترام والكرامة التى تتمتع بها مهنة معينة من أقوى أسباب تهافت الناس عليها ومعظم هذا التهافت كلما جلبت هذه الحرفة معها المكانة الاجتماعية .

والآن ما هو مدى اختلاف الأجور ، وإلى أى حد تظل الطبقات الاجتماعية موجودة إذا أتيحت فرص واحدة لكل فرد وكان اختيار الحرفة حاصلاً بحرية تامة ؟ ؟

« يتبع »

سبحات فكر

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

سفير مصر بالباكستان

تأريخ الحوادث والناس

يقال إن التاريخ لا يجوز أن يكتب إلا بعد مدة من وقوع الواقعات وموت الرجال حتى تخلص النفس من أثر الحادثات وتنجو من العصبيات ، وتستطيع أن تنظر إلى الأمور غير راضية ولا غاضبة ولا فرحة ولا مبتئسة . وحتى تكتب عن رجال بعيدة من الحب والبغض ، والمحاباة والظلم ، بريئة من الأهواء التى تورثها المعاصرة والمشاركة فى المعيشة والمنافسة .

وهذا مقبول من هذه الوجهة ولكنه مردود بما يضيع على غير المعاصر من دقاق الحوادث ومن ألوان الواقعات ، وما يفسرها من أحوال الزمان والمكان والناس ، وصلات بعضهم ببعض .

وأحسب أن كتابة التاريخ المعاصر مرهقة منفرة بكثرة حوادثها ووفرة مصادرها ، على حين يكتفى مؤرخ العصور القديمة بكلمة ينسج عليها وهما ودمية يلبسها خيالا ، ويكتفى مؤرخ العصور التى بعدها بخبر يحمله ما لا يحمل ، وخطبة أو قصيدة يستدل بها على أكثر مما تدل عليه ، حين يخلص من رقابة الحقائق ، أو شهادة الوقائع .

ولا ريب أن تسجيل التاريخ قبل أن تبعد حوادثه ، وتطمس معالمه ، أقرب إلى الحق إن أراد الكاتب التاريخ محضا ، لا مدح جماعة أو آحاد ، وذم فئة أو أفراد . وإن قيل إن النفس المعاصرة لا تبرأ من الهوى ، قلنا إنها على هذا أقرب إلى التثبت وأقدر على التحقيق ممن يأتى بعد أجيال ليستقصى الأفعال والأقوال .

***

مر الزمان

نشأت أرى حولى فى قريتى شباناً وكهولا وشيوخا . ودارت السنون دورات فإذا الشيوخ قد وردوا المنية كلهم ، وإذا الكهول يتهافتون عليها ، وإذا الشبان قد أخذوا مكان الكهول والشيوخ . وإذا نشء جديد لا أعرفهم صاروا رجال القرية ، وخرجت

من مدرستى ثم نظرت بعد خمسة عشر عاما أو قريب منها فإذا أساتذتى قد تتابعوا إلى الموت إلا قليلا قليلا ، وبعد عشرين عاما فكرت فإذا كثير من الأتراب هووا .

وجُلت فى أحياء من القاهرة غبت عنها سنين فإذا المعالم تغيرت والطرق تنكرت ؛ قامت دور وهدمت دور ، ورحلت أسر وقدمت أسر ، وامحى عرف ونشأ آخر .

وهكذا دور الزمان ، وبطش الحدثان ، لا استقرار ولا دوام ، وهكذا تقلّب الدهر وتحول الأحوال ، لا ثبات ولا بقاء .

فاستمسك ما استطعت بالمعانى الخالدة التى لا تتغير والقوانين السائرة التى لا تتبدل . استمسك بالحق والعدل ، والخير والجمال ؛ بل استمسك بالله الحق الذى لا يحول ولا يزول .

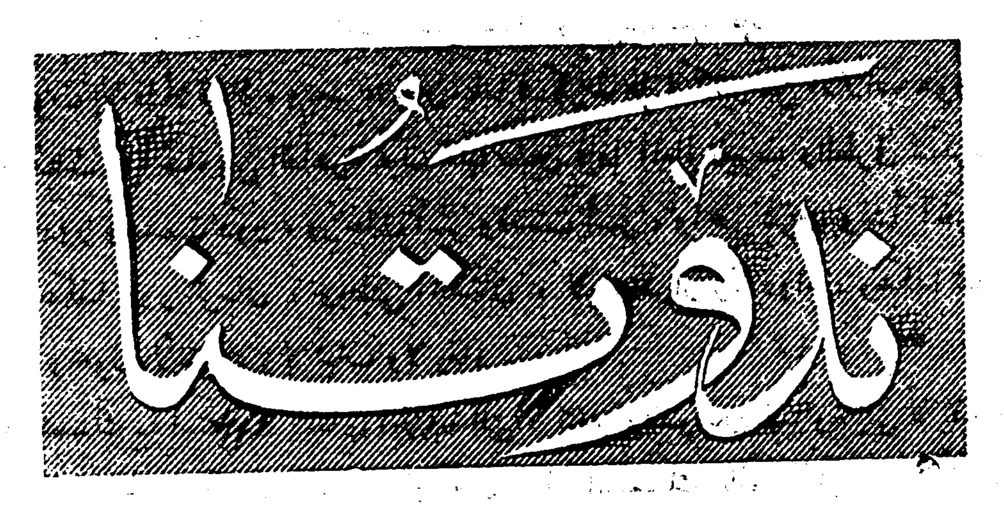
* * *

إرضاء الجماهير

دار الحديث فى مجلس حول الأفلام المصرية : تفاهة أكثرها وبذاءتها وسماجتها ، وخلوها من فائدة للعقل أو الخلق . وقد قيل إن أصحاب الملاهى نقلوا الرقص والغناء الغث من الأمكنة الضيقة التى يشهدها قليل من الناس إلى أفلام تعرض فى كل مكان وتكرر كل حين ، وتمادى المتحدثون حتى قال أحدهم : إن الأفلام التى تعرض مناظر طبيعية أو تصور حياة الحيوان فى الغابات أو جانباً من معيشة الجد والكد أو تصور تبين التاريخ الصحيح لا ترضى الجمهور . وأصحاب الملاهى ومصورو الأفلام همهم الأول جذب الناس وتعلق الجماهير ، وتحصيل المال والصيت .

قلت هذا أصل الداء السارى فى أدبنا وصحفنا وأفلامنـــا ومسارحنا . الأديب والصحفى وصاحب السينما يبغى الجاه والمال ، ووسيلتهما كثرة المتمتعين بما يحدثون . والدهماء فى كل أمة أغلب ، والسواد أكثر ، والعامة أملك ؛ فليكتب الكتاب ما يرضى الجمهور ولينزلوا إليه . وليتملق الصحفيون العامة ويستكثروا منهم ، وليعرض أصحاب الأفلام مايدر المال بازدحام النظارة ، وإنما أعنى العامة أخلاقا وعقولا وإن كانوا من الأغنياء أو تسموا بالعلماء وحينئذ يكون الجمهور أو الدهماء أو السواد أو العامة أو ما شئت من هذه الأسماء قائدة لا مقودة وسائدة لا مسودة .

وحسب الأمة فساداً أن يؤمها عامتها ، وأن تقاد بأذنابها . إن الخطة المثلى أن ينزل الكتاب ومن إليهم إلى الجمهور قليلا ليرفعوه إليهم كثيراً ، وليقاربوه ليقودوه . ولعن الله المال والجاه أن جعل الأفلام فى خدمة العوام ، وصيّر الرعاة أتباع السوام .



تعليق على مقال

« نهاية الخــــلافة العثمانية »

للأستاذ عيسى عبده إبراهيم

حضرة الأخ المحترم الأستاذ سعيد رمضان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فقد اطلعت فى العدد السابع من السنة الثانية على مقال قيم عن نهاية الخلافة العثمانية لحضرة الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الريس ، واستوقف نظرى ما حرص الكاتب الفاضل على توكيده من ضرورة التكتل لمواجهة الضغط الغربى الجائر ، وإنها لدعوة مبصرة تستهدف الخير للأمة الإسلامية وللشرق جميعا ، ومن حق القائلين بها أن نستمع لهم وأن نعمل على تلبية النداء .

غير أنه فى سياق الحديث جاءت كلمة عابرة عن جزيرة قبرص ، ومر بها الكاتب الفاضل مراً سريعاً فى متابعته للفكرة الأصلية التى يعالجها ، فقال حضرته ما نصه : « وفى عهده أخذ الانجليز قبرص ، أخذوها هدية منه فى عام ١٨٧٨ » وكان مناط البحث تعداد بعض المآخذ على سياسة عبد الحميد وما جنته هـذه السياسة على الدولة العثمانية وعلى المسلمين . وهكذا يخرج القارىء بفكرة محددة تتلخص فى أن عبد الحميد قد وهب الجزيرة أو تنازل عنها طواعية واختيارا ، لغاية فى نفسه أو سفاهة منه ، ولا نزاع فى أن الكاتب الفاضل لم يقصد إلى شىء من ذلك ، بل قصد إلى التهكم من غلاة المستعمرين من البريطان الذين عادوا بالهدية من مؤتمر برلين فوجدوا فى بلادهم من يطلب المزيد من هذه الهدايا ، كما وجدوا من يعارض فى عناد وإصرار وينذر بخطورة جمع الهدايا بهذه الطريقة .

وإذا كان دزرائيلي قد قدم لبلاده جزيرة قبرص هدية من عند سياسته الاستعمارية الغالية ، فإن المحايدين ، فضلا عن الشرقيين ، قد اختاروا لواقعة الإهـداء تسمية أخرى ، فقالوا بأن انجلترا قد اختطفت قبرص .

ولست بصدد الدفاع عن السلطان عبد الحميد ، فما فكرت فى شىء من ذلك ، ولكنى بصدد تعقب الاستعمار أينما ظهرت آثاره ، وإن الظروف التى اختطفت فيها انجلترا جزيرة قبرص لتستوقف النظر حقا . . . ، وفيما يلى بيان موجز عن اغتصاب انجلترا لهذه الجزيرة .

هنا فى مصر ، وفى حى شبرا ، نشأ فتى يهودى يدعى بنيامين دزرائيلى ، وكان داهية بطبيعته ، كما كانت نشأته فى مصر سـبباً فى اطلاعه على دقائق الحال فى الشرق ، فى وقت تخاذلت فيه الأمم الشرقية وتأخرت اقتصادياً . وقد ترقى هذا الفتى بعد هجرته إلى انجلترا حتى وصل عن طريق السياسـة إلى رئاسة المحافظين ورئاسة مجلس الوزراء فى بريطانيا ، وليس يعنينا من تاريخه إلا تلك الفترة الواقعة بين سنة ١٨٧٤ وسنة ١٨٨٠ فقد اكتسح منافسه جلاد ستون وفاز فى الانتخابات فى سنة ١٨٧٤ وعاد إلى رياسـة الوزارة ، وشهدت أوربا بل وشهد العالم فترة لا تزيد على ست سنوات ، وقع فيها من الأحداث ما لا يزال الشرق يعانى آثاره إلى الآن .

فى هذه الفترة بالذات وقع الرأى العام فى بريطانيا تحت تأثير سياسات شديدة التعارض ، وكان أهمها اثنتين : الأولى سياسـة معتدلة بعيدة النظر تدخل فى حسابها ثمن التوسع الامبراطورى وما يفرضه على الدولة المستعمرة من غزو وحروب متجددة وما يخلفه من المشـاكل مع سائر الدول الـكبرى ذات الأطماع وبالتالى يكون الخير فى الحد من هذا التوسع أو العدول عنه والاتجاه نحو الاسـتقرار فى دائرة ضيقة ، وكان داعية هذه السياسة والقائم على تنفيذها كلما أتيحت له الفرصـة جلاد سـتون . وكانت السياسه الثانية متطرفة ، تدعو إلى ضم الأراضى والشعوب فى دائرة كبرى شديدة المرونة تتسع لافريقيا وآسيا واستراليشيا ، كما تتسع لأية دولة أوروبية ينبغى إخضاعها لمقتضيات التوسـع الامبراطورى رضاء أو كرها ، ومن الأمثلة على هذا الجزء الأخير من السياسة المتطرفة ما كان بعد ذلك من ندب بلجيكا لاستعمار بعض أراضى أفريقيا وما كان من سـير فرنسا طويلاً فى موكب البطلان الذى نظمته وتقدمته بريطانيا ، وما كان من الصدام المسلح بينها وبين المـانيا فى سبيل الاستعمار ، وكانت هذه السياسة تستهدف إيجاد وحدة اقتصـادية هائلة تتعاون فيما بينها — كما يدعون — أو تحشـد

بوساطتها الخيرات والطيبات للبلد المستعمر على حساب البلاد المستضعفة ، كما هو الواقع .
وكانت عدة هذه السياسة الأخيرة الأسطول والسطو ، ثم التفرقة بين الأهالى بعد النزول فى أراضيهم ، وكل ذلك من ناحية ، والمهارة الدبلوماسية من ناحية أخرى ، والمقصود بالمهارة هنا هو التحلل من جميع الضوابط الأخلاقية والقانونية التى تخضع لها التصرفات فى أى مجتمع متحضر .

فلما ولى دزرائيلى الأمر سنة ١٨٧٤ لم يضيع وقته سدى ، فتولى ضم جزائر فيجى فى جنوب الباسفيك ، وفى سنة ١٨٧٥ قام بدوره المشهور ، حين أعلن فرنسا بأن مشتراها لأسهم القناة من إسماعيل يعتبر عملا عدائياً ، وفى نفس الوقت حصل على المال فى غيبة البرلمان الانجليزى وعاونه فى ذلك بيت روتشيلد وأتم الصفقة فى سرعة خاطفة وتعرض للنقد والتأييد جميعاً ولكنه أوجد البرلمان الانجليزى أمام الأمر الواقع ، وفى سنة ١٨٧٦ خلع على الملكة فكتوريا لقب أمبراطورة الهند . وفى سنتى ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وصلت سياسته الجبارة إلى غايتها فتعاون مع روسيا وألمانيا والنمسا على تمزيق الدولة العثمانية . وإنه لصراع هائل ذلك الذى أبداه عبدالحميد فى مقاومته للذئاب التى تكاثرت عليه . . . قد يصح القول بأن عبدالحميد كان مستبداً ، وقد يقال بأنه أسكت الناصحين أو أزهق أرواحهم . قد يقال ذلك كله أو بعضه فى مناسبته ، ولكن فى معرض العلاقات الدولية يتعين علينا أن نذكر بأن عبدالحميد دافع وقاوم بقدر ما توافر لديه من قوة ومن حيلة .

ولى عبد الحميد فى سنة ١٨٧٦ وحكم إلى سنة ١٩٠٨ ويعنينا فى بحثنا هذا عن جزيرة قبرص أول عهده فقط ، لننظر فيما كانت عليه الحال فى المسرح الأوروبى . ففى سنة ١٨٧٥ أى قبيل ارتقاء عبد الحميد لعرشه قام الامبراطور فرانسوا جوزيف برحلة إلى دالماسيا وهناك استقبل رجال الكنيسة الكاثوليك فى حشود هتفت به حامياً للمسيحية من المسلمين . واشتدت المؤامرات التى كانت تهدف إلى تمزيق الدولة العثمانية وطردها من أوروبا وخلق دويلات مسيحية فى البلقان ، كما أن روسيا كانت تطمع فى أملاك الدولة العثمانية فى آسيا وفى المضايق بوجه خاص .

وفى سنة ١٨٧٥ أيضا رسمت انجلترا سياستها النهائية حيال القناة حين اشترت حصة مصر من الأسهم ، فاشتدت عنايتها بشرق البحر الأبيض وبمنطقة القناة ، وبالسياسة الروسية ، لأن روسيا كانت أخطر المناوئين للامبراطورية البريطانية إذا هى عبرت مضايق البوسفور والدردنيل ، وطمعت فى الوصول إلى الشرقين الأدنى والأقصى عن طريق القناة .

وفى سنة ١٨٧٦ تجدد السعى لتحرير أرمينيا وهى من الأملاك العثمانية فى آسيا ، ولخلق صربيا الكبرى وغيرها من دويلات البلقان ، كخطوات أولية فى سبيل تحرير جنوب شرق أوروبا من نير المسلمين ، ولا يتأتى ذلك إلا بتفتيت الدولة العثمانية . . .

فى هذا الجو إذن ولى عبد الحميد عرش آل عثمان ، فما كاد يبدأ حكمه حتى كانت القوى الكبرى فى أوروبا وهى انجلترا والمانيا وروسيا (وقد تلحق بها النمسا) قد تفاهمت على مبدأ الاجهاز على الرجل المريض ، وإن اختلفت فيما بينها على توزيع الأسلاب .

وإن الناظر فى الوثائق الدبلوماسية وتعليقات بعض الدول المحايدة (فى هذه الفترة) كأمريكا مثلا ليلمس جرائم الاستعمار الغربى فى عهد دزرائيلى على صورة لا تدع للباحث فرصة لاتهام ولاة الشرق ، الذين تحكم الغرب فى مصائرهم ، لأسباب بعضها كان خارجا بالفعل عن طاقتهم . من ذلك مثلا سبق الدول الأوربية إلى تسخير البخار والكهرباء والزيت فى التصنيع وفى المواصلات ، وفى السلاح والعتاد مما أوجد التفاوت الشديد فى القوة المادية بين الغرب والشرق .

وكانت المؤامرة الكبرى فى سنة ١٨٧٧ حين دفعت انجلترا روسيا لمحاربة تركيا ، وقد مرت هذه الحرب بأدوار هامة ، وتعرضت فى خلالها وزارة دزرائيلى لأزمات شديدة كلما قرب الزحف الروسى من المضايق . . .

وفى صيف سنة ١٨٧٨ وجدت الدول الأوروبية الكبرى أنه لابد من مؤتمر تقتسم فيه الأسلاب ، فكان مؤتمر برلين ، ولأهميته شهده دزرائيلى بشخصه ، وإلى هذا أشار بعض المؤرخين فى العلاقات الدبلوماسية ، واستخلصوا المعانى .

ذهب دزرائيلى إذن إلى برلين وحضر المؤتمر ، وكان قد دخل من قبل اتفاقات سرية بين انجلترا وروسيا على عزل بلغاريا عن القسطنطينية والإلقاء بها وراء الخطوط الاستراتيجية للبلقان عند تنظيمه للاجهاز على الدولة العثمانية ، واتفاق سرى مع روسيا أيضا تتعهد فيه انجلترا بتمكينها من منافع أخرى تحصل عليها من أسلاب الدول العثمانية واتفاق سرى مع تركيا تلتزم فيه انجلترا بدفع عدوان الروس عن ممتلكات تركيا فى آسيا ، وفى مقابل هذا الالتزام طلبت انجلترا احتلال قبرص مؤقتا ليتسنى لها القيام بما التزمت به . . .

واتفاق سرى آخر بين انجلترا والنمسا لتنسيق سياسة الدولتين وتأمين الأخيرة على أطماعها فى البوسنة والهرسك . . .

بهذه الاتفاقات السرية دخل دزرائيلى مؤتمر برلين فى ١٣ يونية سنة ١٨٧٨ ، وقد ترأس الجلسات بسمارك ، الذى أراد أن يأمن معارضة فرنسا فأشار عليها — ووافقت

بريطانيا — يأخذ تونس وكان من قبل قد وعد إيطاليا بها سرا ، وقد أراد السياسى الألمانى الداهية ، أن يوقع بين فرنسا وإيطاليا لتنصرف الأولى عنه ، وقد كان النزاع بينهما فى الحرب السبعينية منذرا بالعودة إلى الصدام المسلح ، وقد وقع بعد ذلك بالفعل ، أكثر من مرة .

وفيما يختص بجزيرة قبرص نورد بعض التفصيلات : تقدمت بريطانيا فى ٤ يونيه سنة ١٨٧٨ بمذكرة إلى تركيا ، وطلبت بموجبها الإذن لها باحتلال الجزيرة بقواتها العسكرية ، وشفعت المذكرة بتوقيت القبول فى خلال ٤٨ ساعة أى أنها كانت إنذارا نهائيا ، فوقع السلطان عبد الحميد الفرمان المطلوب ، ثم عدل عن نشره ، فهو من الناحية القانونية كأن لم يكن ، ولكن الانجليز احتلوا الجزيرة فى ٦ يونية مؤقتا . . . نعم مؤقتا بدليل بقائهم فيها إلى الآن ! وقد قررت انجلترا فى وثائقها وبلسان ساستها ونوابها أن الاحتلال المذكور كان مقرراً فى سياسة المحافظين برئاسة دزرائيلى بصرف النظر عما إذا كان السلطان يوقع الفرمان المطلوب أم يرفض ، وبصرف النظر عما إذا كان النشر يعقب التوقيع أم يعدل السلطان عن استيفاء إجراءات التوثيق والشهر .

على أن انجلترا لم تقف فى الأزمة الروسية التركية عند حد التصميم على احتلال قبرص ، بل طلبت مراراً فى أواخر سنة ١٨٧٧ وفى أوائل سنة ١٨٧٨ احتلال المضايق ، أو إرساء أسطولها فى مداخلها لتكون أسبق إلى الهيمنة على مدخل البحر الأسود فيما إذا وصل الزحف الروسى إلى القسطنطينية . وقاوم عبد الحميد مرة بعد مرة ، فى عناد وإصرار ، ورغم ذلك وصل الأسطول مرتين ولولا إشتداد الخلاف فيما بين أعضاء وزارة دزرائيلى ، لأقام الأسطول فى البواغيز ، ولتعرضت انجلترا لصراع مسلح مع القيصر ، ولم تكن السياسة البريطانية بالغة حد التصميم فى هذا الخصوص ، ومن أجل ذلك فقط تراجعت انجلترا ، ورضيت باقتسام الأسلاب مع العصبة اللئام ، فى مؤتمر يضمهم جميعا ، وبالتالى لم يكن عدول انجلترا عن احتلال القسطنطينية أو البواغيز راجعا إلى احتجاج السلطان العثمانى ورفضه .

وكذلك لم تكن مسألة احتلال قبرص محل مفاوضة جدية مع السلطان ، ولكنها كانت جزئية من سياسة عامة ، أو كانت أداة فى جهاز ضخم بناه الاستعمار فى القرن الماضى ، بالتدبير والمؤامرات فى النصف الأول ، وبالتنفيذ تباعا — مع المؤامرات دائما — فى النصف الثانى .

ويهمنى أن أنبه إلى السبب التاريخى الذى ميز النصف الأول من القرن التاسع عشر عن النصف الثانى منه : ذلك أن البخار كان قد دخل فى تسيير السفن فى أواسط القرن الماضى ، ثم أخذت الأساطيل التجارية والحربية تتحول بالتدريج ، وبأقصى سرعة يسمح بها استهلاك رؤوس الاموال المجمدة فى هذه القطع من الشراع إلى السير بالآلات البخارية ، ثم آلات الاحتراق الداخلى ـ الديزل ـ التى تستخدم الزيت كوقود .

وقد بنت بريطانيا امبراطوريتها بالتفوق فى البحر وبالسبق إلى مصادر الخامات وإلى الأسواق . وبالتالى عنيت باغتصاب الجزر وتحويلها إلى قلاع عائمة فى وسط البحر أو المحيط ، وعنيت كذلك بالممرات المائية أو المضايق .

ونحن هنا فى الشرق يعنينا أن نفسر تصرفات انجلترا فى ضوء تاريخها ونواياها التى أسفرت عنها هذه التصرفات .

فمثلا كانت تقوية جزيرة مالطة فى سنة ١٨٦٤ بسبب ما اتضح فى ذلك الوقت من احتمال نجاح دى لسبس فى إنجاز مشروع القناة بعد أن تعثر من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٦٤ . وكان اغتصاب جزيرة قبرص فى سنة ١٨٧٨ داخلا فى نطاق الخطة الاستراتيجية لتأمين الدفاع عن شرق البحر الأبيض وعن القناة . . . تلك القناة التى لم تكن بريطانيا قد احتلتها بعد ، ثم كانت سنة ١٨٨٢ وكانت أحداثها مرسومة كذلك ، وعمدت انجلترا بعد ذلك إلى سحب جيشنا من السودان وإعادة الفتح بجيشنا أيضاً ولكن تحت قيادة الإنجليز . . . وأخيراً مهدت انجلترا بعد الحرب العالمية الثانية للولايات المتحدة أن تنشر نفوذها فى شمال أفريقيا من غرب مصر بعد أن كانت إيطاليا تحتل ليبيا إلى حرب ٣٩ / ١٩٤٥ ، والمفروض أن الولايات المتحدة حليفة لانجلترا . . . ؟ وبهذه الخطوة الأخيرة تم تطويق منطقة القناة . . . هذا هو الطوق الذى جاهدت انجلترا مائة عام لضربه حول برزخ السويس من تاريخ تطلع جماعة سان سى مونيان من الرهبان ووكيلهم دى لسبس إلى هذا البرزخ لتنفيذ مشروعهم الصليبى الموروث عن القرن الثالث عشر ، ولعل أخطر حلقة أضيفت لهذه السلسلة ذلك المسخ المسمى بإسرائيل ، إسرائيل التى يصلى من أجلها تشرشل ويريد أن يراها منتشرة فى أرض الشام العثمانية سابقاً كيفما كانت تسمياتها الآن ، وفى أرض سيناء التى نصر إصراراً عجيباً على نسيانها ، وأخيراً فى منطقة القناة .

هذه هى أخطر الحلقات التى اهتدى إليها شياطين الاستعمار ، إذ أراهم يهدفون إلى إنشاء دولة يهودية فى نفس المنطقة التى أوصى قواد الحروب الصليبية باقتطاعها من أراضى المسلمين وهذا ما تنطق به وثائقهم من القرن الثالث عشر للآن ، ويريد

المستعمرون أن يستخفوا وراء اليهود لإنفاذ سياستهم ، دون إغضاب العرب ، طمعاً فى البترول وفى المواد الخام وفى الأسواق . . .

يخلص مما تقدم أنه حين يقال بأن انجلترا نزلت فى قبرص فى سنة ١٨٧٨ بدعوة من أصحابها ، أو من الدولة العثمانية أو نزلت مستأجرة كالمنتفع بالأرض والعقار ، أو أعيرت لها ، أو قيل بأن انجلترا قد حلّت بديار قبرص كما تحل النوازل الوافدة والكوارث الداهمة ... فإن معنى واحداً ينبغى أن ينعكس فى ذهن القارىء ... مهما اختلفت الصيغ ، هذا المعنى هو تطويق القناة بسلسلة إحدى حلقاتها جزيرة قبرص ...

هذا إذا كان فى الوقائع التاريخية خلاف أو غموض ، أما والوثائق الدبلوماسية وفيرة ومنتشرة ، فإن انجلترا لا تستطيع أن تغالط الشرق أبداً ، والحق أنه لم يؤذن لها باختطاف قبرص كما لم يؤذن لها بضرب الإسكندرية والتهام وادى النيل .

وبعد ، فإنى شاكر لأستاذنا الدكتور الرئيس ما أتاح من فرصة لمواطن ، أن يبين رأيه فى قراءة التاريخ ، قراءة عادية دون تخصص ، وإنما بنيّة الكشف عن حقيقة نوايا الغرب فيما اقترفه من آثام ، وفيما يضمره من النوايا حيال الشرق ، تلك النوايا التى تبدّت إلى الآن ، فإذا بالمستعمرين فى يومنا هذا يريدون من القرن العشرين أن يكون صورة من سابقه ، أو يريدون من الأفلاك أن تكف عن الدوران .

ولكنهم فى ضلال من غير شك ، لأن يقظة الشرق حقيقة واقعة لا يجدى معها مراء أو محال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

وهذه كلمة من السيد جاسم محمد من بغداد :

إطلعت فى العدد السادس من السنة الثانية لمجلة « المسلمون » كلمة صادرة عن دار التقريب موجهة للدكتور السباعى وقد أثارت الكلمة فى نفوسنا سؤالا وهو : لم كان مركز دار التقريب القاهرة ؟ وبين من تقرب ؟ لماذا لا تأتى فتتخذ مقرها بغداد حيث الطائفية وحركوا الفتنة من أدعياء العلم ؟

فهل القاهرة فيها أمثال هذا الكلام المسموم فتحتاج إلى تقريب أم إن العراق هو موطن التخريب فيحتاج إلى تقريب ؟

إننا نطالب أهل دار التقريب إن كان قصدهم حقاً التقريب أن يأتوا إلى العراق لا أن يقيموا فى مصر حيث لا حاجة إليهم ولا معنى لنشاطهم إن كان لهم نشاط .

وهذه رسالة رقيقة من سماحة الأستاذ عبد الله كنون عالم طنجة :

« قرأت خاطرة شامبليون البليغة للأخ العزيز الداعية الكبير الأستاذ سعيد رمضان فى عدد (المسلمون) الخامس فتذكرت أبياتاً كنت قلتها فى حادثة المنطاد الانجليزى (ر ١٠١) الذى احترق بفرنسا فى ٥ اكتوبر ١٩٣٠ وهو فى طريقه إلى الهند وكان من ركابه وزير الطيران البريطانى وشخصيات أخرى كبيرة وهى أول رحلة له . ولتشابه هذه الأبيات والخاطرة المذكورة فى الموضوع والعبرة التى توحى بها أحببت أن أقدمها إلى قراء (المسلمون) الأعزاء إن رضى أخى سعيد . .

لَئِنْ لَمْ يَأْلُ جُهْدَهُمْ الطُّغَاةُ ... فَمَا فُلَّتْ لِغَيْرِهِمْ شَبَاةُ

وَمَا زَالَتْ تُصِيبُهُمْ عَوادٍ ... بِمَا صَنَعُوا وَتَغْزُوهم عُدَاةُ

وَمُنْطَادٍ كَطَوْدٍ مُشْمَخِرٍّ ... تَضِيقُ بِهِ الجِوَاءُ الواسعاتُ

بَنَوْهُ عَلَى تَحَدِّى العُزْلِ مِمَّنْ ... يَرَوْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ قَذَاةُ

وَقَالُوا فَلْنُسَيِّرْهُ ازْدِجَارًا ... إِلَى مَنْ لَمْ تُنَهْنِهْهُمْ أَنَاةُ

إِلَى الهِنْدِ الوَقَاحِ فَإِنَّ فِيهَا ... ثُوَّارًا لَا تَلِينُ لَهُمْ قَنَاةُ

فَلَوْ أَبْصَرْتَ حِينَ نَوَى نُهُوضًا ... وَأَمْطَاهُ رُؤُسُهُمُ الدُّهَاةُ

وَقَدْ حُشِرَتْ لَهُ الأَقْوَامُ حَشْرًا ... وَكُلُّهُمْ عُيُونٌ شَاخِصَاتُ

تَحَرَّكَ نَاشِرًا فِى الجَوِّ ذُعْرًا ... فَأَجْفَلَتِ الجُمُوعُ الحَاشِدَاتُ

وَحَلَّقَ فَوْقَهُمْ فَأَثَارَ ضَوْضَى ... كَمَا تَدْوِى الرُّعُودُ القَاصِفَاتُ

وَسَارَ وَحَشْوُ جَنْبَيْهِ غُرُورٌ ... تُشَيِّعُهُ الأَمَانِى الخَائِبَاتُ

وَسَارَ فَمَا مَضَى إِلَّا قَلِيلٌ ... إِذَا بِالجَمْعِ يَعْقُبُهُ الشَّتَاتُ

إِذَا بِاللَّيْلِ يَهْجُمُ وَاللَّيَالِى ... لَهَا حَسَنَاتُهَا وَالسَّيِّئَاتُ

وَأَمْسَى الرَّكْبُ فِى فَرَحٍ فَأَضْحَى ... وَقَدْ قَامَتْ عَلَيْهِ النَّائِحَاتُ

وَكَانَ يُرِيدُهُ فَتْحًا مُبِينًا ... وَلَكِنَّ المَقَادِيرَ افْتِيَاتُ

وَشَبَّتْ فِيهِ نَارٌ صَيَّرَتْهُ ... رَمَادًا بَعْثَرَتْهُ الذَّارِيَاتُ

وَعَادَ الطِّينُ مُنْجَدِلًا بِطِينٍ ... وَسَارَتْ فِى مَوَاكِبِهَا الحَيَاةُ

باب الكتب : نقد وتعريف

المرأة بين البيت والمجتمع للأستاذ البهى الخولى

مطبعة دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٣ — ١٤٨ صفحة

أشار حضرة الأستاذ الكبير المرشد العام للاخوان المسلمين على الأستاذ البهى الخولى بأن يضع رسالة موجزة سهلة التناول تبين حقوق المرأة وواجباتها فى البيت والمجتمع ، يلم فيها بحكم الإسلام فى ذلك مأخوذاً من الكتاب والسنة ، الإسلام دين الفطرة السليمة فيما منح ومنع على أن يؤخذ كله جملة واحدة . فكان أن استجاب صديقنا الفاضل لهذه الدعوة الكريمة ، وكان أن جاءت رسالته وسطا بين غلو المتزمتين وتفريط المترخصين ، ووسطا بين الإسهاب والإيجاز ، وخير الأمور الوسط كما هو مقدر ومعروف ، وهى بهذا تجيب عن كثير من الأسئلة التى يتشوف للاجابة عليها المشتغلون بهذه المسألة الهامة .

ويبدأ المؤلف ببيان نظر الإسلام إلى المرأة (ص — ١٤٧) ، وهنا نراه يشير إشارة خفيفة إلى آراء الديانات الأخرى والمفكرين القدامى فى المرأة ، وينتهى إلى أن الإسلام وحده هو الذى حقق للمرأة مساواتها بالرجل ورد لها أعتبارها وكرامتها .

ثم أخذ يتكلم عن حقوق الأسرة التى تقوم على الزواج ، وعن حرية المرأة فى اختيار زوجها ، وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تُزَوَّجِ الأيِّم حتى تُسْتَأْمر ولا البكر حتى تُسْتَأْذَن » ؛ وعما يجب أن يكون بين الزوجين من مودة ورحمة وحسن عشرة ليكون كل منهما سَكَنًا للآخر ، ومن ثم تناول بشىء من التفصيل حقوق وواجبات كل منهما ، وأبان أن الإسلام يرى بحق أن تكون سياسة البيت للمرأة وعمل الخارج على الرجل ، وهذا مما يتفق مع طبيعة كل منهما (ص ٤٥ — ٤٧) .

وقد رأى من الضرورى أن يتعرض لما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء » ، « وللرجال عليهن درجة » ، وأبان أن هذه القوامة لا تمتد مطلقا إلى حرية المرأة فى دينها ورأيها وتصرفها فى مالها ، وإذاً « ماذا يخيف المتطيِّرين من قول الله سبحانه : الرجال قوامون على النساء » ؟ ! (ص ٥٢) .

ويخلص صديقنا الفاضل بعد ذلك إلى الحديث عن حكمة الإسلام السامية فى إباحة تعدد الزوجات والطلاق (ص ٦٠ وما بعدها) ، وذلك مما امتاز به الإسلام لمصلحة المجتمع والزوجين أنفسهما . وهنا نذكر أن إباحة تعدد الزوجات هو الحل الوحيد لمشكلة زيادة عدد النساء عن الرجال زيادة فاحشة فى أعقاب الحروب ، كما هو حاصل فعلا فى ألمانيا الآن ، وهذا ما لمسته بنفسى فى مؤتمر حضرته بمدينة « ميونيخ » عام سنة ١٩٤٨ ، وكان هو الحل الذى تقدمت به أنا وزميل لى فى المؤتمر وفى كلية الحقوق الآن . ولم يغفل المؤلف ، وهو يصور هاتين المسألتين ، بحث مسألة « المحلل » وبطلانه (ص ٨٥) ، ومسألة تحديد النسل ودواعيه وأسبابه التى لها ما يبررها بحق أحيانا (ص ٨٧ — ٨٩) .

فإذا وصل الأستاذ إلى الكلام عن المرأة والمجتمع (ص ١١١ وما بعدها) ، نراه يذهب إلى آراء قد يَـزْوَرُّ عنها الجامدون المتزمتون ، ولكنه حَسْبه أنها آراء تتفق مع الإسلام نصوصه وروحه . إنه يرى بحق أن للمرأة « أن تخرج لزيارة والديها وإخوتها وأخواتها ، ومن تُؤْمَن زيارتها له من أقاربها وصديقاتها » (ص ١١٨) . « ولها أن تخرج للصلاة — وأداؤها فى البيت أفضل — وضرورات العلاج ، وقاعات العلم والمحاضرات . . . على ألا تكون فى تلك القاعات عرضة لمجون العابثين . . . ولها أن تخرج إلى الحقل أو السوق ، أو إلى أى مكان لا إثم فيه ، لشراء ما يحتاج إليه بيتها وقضاء مصالحها » (ص ١١٩)

ودور التمثيل والسينما « ليست محترمة لذاتها . . . فإذا وُجدت دور تعرف كيف تختار روّادها من البيئات الكريمة وتحترم رسالتها ، فلا تعرض إلا التسلية البريئة والمناظر العلمية والروايات النافعة عقلا وخُلقا ، فلا بأس من ارتيادها . . . » (ص ١١٩) .

وفى مشكلة انتقال المرأة بالأعمال الحرة ، يرى أنه لا مانع أن تعمل المرأة ، ولكن الحياة تخصص ، وخير التخصص وأنفعه ما جاء من صنع الطبيعة وإملائها . . . ومن عرض صفحته للحق هلك » (ص ١٢٢ — ١٢٣) ، وينتهى من هذا الفصل بهذه القولة الحكيمة : إن الدين لا يحرم على المرأة أن تعمل ، ولكنه يحرم أن تهجر ميدانها الطبيعى بدون عذر — وهو ميدان لا يُجدى فيه سواها — إلى ميدان يعمره الرجل بكل كفاءة ومقدرة حيث لا حاجة إليها . فلتغش المرأة ميدان

العمل العام ، ولكن عند الضرورات التى تجعل جهدها فيه على الأمة أجدى من بقائها فى ميدانها الطبيعى (ص ١٢٧) .

وبهذه الروح الطيبة الحكيمة المتزنة ، عالج الأستاذ مشكلة المرأة وتولى وظائف الدولة (ص ١٢٨ وما بعدها) ، وحقوق المرأة السياسية (ص ١٣٦ وما بعدها) .

وأخيراً ، ينتهى المؤلف الفاضل من رسالته بهذه الكلمة الحازمة : « ويجب أن يكون معلوماً أننا قررنا ما قررناه مقيدا بشروطه ، فلا يجوز أن نأخذ بعضه ونعرض عن بعض . فالله سبحانه إنما جعل ذلك الحق (يريد : الحق السياسى ، ومثله سائر الحقوق التى تكلم عنها بلا ريب) للمؤمنين والمؤمنات الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله » ، إلى آخر ما قال (ص ١٤٦) من الكلمات الحقة الحكيمة التى فيها فصل الخطاب .

* * *

هذا ، وكنا نود أن يستعمل المؤلف كلة : طاقة أو قدرة ، بدل كلة إمكانيات (ص ٩٩) التى وفدت إلينا من الشام والعراق ولا تعرفها العربية . وكذلك لم نفهم هذا التعبير الذى ورد بصفحة ١١٣ : « يتلصص بالشهوة » من ناحية اللغة ، فقد جاء فى معاجم اللغة . لَصَّ يَلِصُّ وهو يتلصص ، إذا تكررت سرقته ، اللَّصُّ فعل الشى فى سَتْر ، ومن ذلك نرى أن التعبير كما جاء فى حكم المؤلف مما لا تقره العربية .

ومع ميلنا إلى اعتبار زواج « المحلل » زواجاً مقيتا ، فإننا من ناحية الفقه لا نستطيع الموافقة على ماذهب إليه المؤلف (ص ٥٨) من أنه باطل قولا واحدا . إننا نعرف أن الإمام أبا حنيفة يرى أن هذا الزواج — حتى إن كان بشرط التحليل — صحيح إلا أنه مكروه تحريما وبه تحل المرأة لزوجها الأول ، وإن كل من صاحبيه يرى رأيا آخر(١) .

وبعد ! فالأستاذ البهى الخولى مشكور من الله والناس جميعا أن كتب هذه الرسالة العظيمة التى يقدرها له كل ناطق بالضاد وطالب للحق فى نفسه ، وهو غنى عن التنويه به بما يكتب فى هذه المجلة وبكتابه « تذكرة الدعاة » الذى سرنا تقديمه للقراء وبرسالاته الأخرى التى لم يقصد منها إلا وجه الله وبيان الحق فى نفسه .

(١) راجع ابن عابدين حـ ٢ ص ٥٥٤ — ٥٥٥ ، الزيلعى حـ ٢ ص ٢٥٩ .

ويقيننا أن فضيلة أستاذنا الأكبر شيخ الأزهر إذا عرف الأستاذ حق المعرفة سيحله من الأزهر المحل اللائق به ، فالأستاذ من أحق العلماء بأن يعهد إليه تدريس التفسير أو الحديث بكلية أصول الدين ، لأنه فى رأينا من القلائل الذين تعمقوا القرآن وأحبوه ووصلوا إلى الكثير من أسراره .

هدية مشكورة

تلقى كاتب هذه الكلمة هدية كريمة من الجامعة الإسلامية ببشاور من الباكستان ، وهى مجموعة من الرسائل التى نشرتها دار العروبة للدعوة الإسلامية بالباكستان ، ومعظمها من تأليف الأخ الكريم والأستاذ الفاضل الداعية الإسلامى المعروف أبو الأعلى المودودى ، مع رسالة أخرى عن جوهر الدين للأستاذ السيد عبد الحميد الخطيب وأخرى عن الإسلام ودعوته للأستاذ مسعود الندوى .

وكل هذه الرسائل القويمة العميقة ، تفيض ببيان الإسلام فى سائر مناحيه ، وبالدعوة له والتوجيه إليه ؛ ليكون دين البشرية كلها ، ولينتزع المسلمون المؤمنون حقا به الزعامة الفكرية والسياسية ممن استبد بها وليس من أهلها .

شكراً لله للاخوان الأفاضل جميعا هذه الجهود ، ووفقهم وأعانهم على ما هم بسبيله ، ومنى إليهم أخلص الود وأجزل الشكر وأطيب التحية ؟

الدكتور محمد يوسف موسى

إن لبدنك عليك حقاً

بإشراف الأميرالاى الدكتور أحمد الناقه

س ١ : برد شديد منذ عامين أعقبه سعال شديد وبلغم مع صفير فى الشهيق والزفير وخاصة فى الصباح حين يستيقظ من النوم .

ج : هذا تمدد بالشعب الهوائية أو نزلة شعبية ربوية وأرى لزوم الفحص بالأشعة قبل وصف العلاج .

س ٢ : نمو الشعر فى مواضع شاذة مثل الأنف .

ج : أمر عادى إلا إذا كان غزيراً فعلاجه خـلاصة بعض الغدد الصماء حسب نتيجة الفحص .

س ٣ : إذا كان للتدخين ضرر فلماذا يدخن الأطباء .

ج : للتدخين أضرار مؤكدة منها استعباد الادمان عليه واضطراب دقات القلب وشرايينه واحتمال سرطان الرئة وافساد الهضم واضعاف الشهية للطعام . وأغلب الأطباء يقعون أسرى ادمان التدخين قبل أن يصيروا أطباء ، ومع ذلك فهم بشر يخطئون .

س ٤ : لماذا ضعف الفلاحون برغم الوحدات الصحية والمستشفيات .

ج : بسبب البلهارسيا والانكلستوما وثعبان البطن والدوسنتاريا المنتشرة نتيجة للبول فى موارد الماء والتبرز فى العراء وهذا منكر وإثم كبير نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « اتقوا الملاعن الثلاث : البول فى موارد الماء وقارعة الطريق والظل »

س ٥ : زوجته صلعاء وأبوها أصلع الرأس وله بنـات ثلاث يخشى عليهن الصلع فما العلاج ؟

ج : لم تثبت وراثة الصلع حتى مع صلع الوالدين . وقد يعين على منعه غسول حمض السليسيل والسليمانى بنسب خاصة مدة طويلة .

س ٦ : هل الاجهاض حرام ؟

ج : نعم حرام على الزوجين الصحيحين القادرين على رزق العيال . وحلال لمرض الزوجين بمشورة الطبيب . أما كثرة العيال وضيق ذات اليد فلا تبرر الاجهاض لأنه قتل للنفس التى حرم الله .

س ٧ : كان يعتقد براءة الأطفال ولكنه اكتشف أن ابنه يكذب ويسرق فما السبب وما العلاج ؟

جـ : الأسباب كثيرة : إما قلة التقدير والفهم وإما التفاخر والبطولة وإما انتقاما لقلق أو غضب وإما تقليداً للكبار . وعلاجه بالحسنى لا بالقسوة والضرب ؛ فحاول أن تفهم نفسيته واستعن على ذلك بالمدرسة .

س ٨ : بنته الصغرى مريضة بالقلب ويريد الجراح أن يزيل زائدتها الدودية لأنها ملتهبة فهل تتحمل البنج والجراحة .

جـ : نعم إلا إذا كان القلب فى حالة هبوط شديد يستعصى على العلاج وكانت الزائدة تحتمل التأجيل .

س ٩ : هل داء السكر مانع من الحمل .

جـ : لا . إلا إذا كان شديداً أو مضاعفاً أو كان الزوج مريضاً به كذلك فيصبح النسل عرضة للمرض الشديد .

س ١٠ : صحته جيدة ، يأكل ماشاء ولكن على لسانه طبقة من البياض لا تزول فما السبب وما العلاج ؟

جـ : قد لا يكون السبب واضحاً ولا يسبب اعراضاً ولا يدعوا إلى الاهتمام الكثير . ومع ذلك فقد يفيد الغذاء الخفيف وعدم التدخين وعلاج الإمساك إن وجد والإقلال من الملينات الشديدة . فإذا كان هناك انتفاخ لزم فحص المرارة والزائدة والمعدة والأمعاء بالأشعة والتحليل .

نصيحة

كتب عمر إلى معاوية :

... « أما بعد فإنى كتبت إليك بكتاب فى القضاء لم آلك فيه ونفسى خيراً .. إلزم خمس خصال يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظك : إذا تقدم إليك خصمان فعليك بالبينة العادلة ، أو اليمين القاطعة . وأدنِ الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه ، وتعهد الغريب ؛ فإنك إن لم تتعهده ترك حقه ، ورجع إلى أهله ؛ وإنما ضيع حقه من لم يرفق به . وآسِ بينهم فى لحظك وطرفك . وعليك بالصلح بين الناس ما لم يستبن لك فصل القضاء »

« البيان والتبيين »

مع العارفين

عون بن عبد الله بن عتبة

هل هو من الزاهدين ، فالزهد مفتاح شخصيته ؟

أو هو من العابدين . . ؟

أو هل خص بنفحة من فقه ، فهو يقيم بها عمله ، وعبادته ، وزهده ، ويستخرج بها من دقائق القرآن ما لا يلتفت إليه سواه ؟

لقد تعددت نواحي الجمال في حياة عون بن عبدالله بن عتبه . فهو زاهد ، ولكن ليس فيه عزلة الزهاد .

وفقيه ولكن من طراز رقيق رفيق .

وتواب ولكن من غير خطيئة .

وطروب ولكن في غير رفث .

وإجتماعي ولكن في غير غفلة .

ومثالي ولكن لا يحلق في الخيال .

وواقعي ولكن في جانب الحق وكريم الفعال .

ولا يطول بك البحث عن مفتاح شخصيته ، أو عن الصفة الغالبة التي كست جوانبه كلها بسناها ، وغذتها برحيقها فغدت حية وضيئة ، سخية .

كان شديد الذكر لله تعالى ، أو قل كان دائم الذكر له سبحانه . . !

وليس الذكر عنده تحرك الشفتين بأسماء الله فحسب ، بل الذكر كل الذكر حضور هيبة الله في القلب ، ورؤيته سبحانه في كل شيء ، وتحرك الخاطر بسر صفاته مع كل حال دون كيف ولا تشبيه .

وله صفاء في الطبع ، وشفافية في المزاج ، فقام ذلك الصفاء كالمرآة المجلوة ، يستقبل من أسرار الله ما يستقبل ، ويتراءى فيه من أسباب الذكر ما يتراءى ، فكان ذكره لله ضرورة من ضرورات الطبع كما هو أثر الرغبة في عبادته سبحانه .

ولقد اشتد به حب الذكر وتقديره لمكانه في الحياة حتى قال : « إن لكل رجل سيداً من عمل وإن سيد عملي الذكر » .

والله حى ، قوى ، قادر ، عزيز ، غنى ، عليم إلى غير ذلك مما أثنى به على نفسه ،
فإذا حلت أسرار تلك الصفات القدسية بقلب الذاكر ، فقد حل سر الحياة ، والقوة ،
والقدرة ، والعزة ، والغنى ، والعلم ، وهكذا .

وكل ما حولك موجب لذكر الله .

فالشمس والقمر والكواكب والنجوم ، والشهب والجبال والبحار والشجر والدواب والأنعام والطير والرياح والمسخر بين السماء والأرض ؛ ذلك ونحوه من آيات الله موجب للذكر لا محالة ، إذ لا صنعة بلا صانع ، ولا أثر بدون مؤثر ، فإذا ذكر الإنسان ربه بتلك الآثار ، فهو المنطق الطبيعى والنتيجة المترتبة على ما يرى ؛ وإذا لم يذكر الصانع بآثار صنعته ، فمنطقه الفطرى معطل وقلبه غافل أو ميت

وإذا تركت صحيفة المشاهدات والآيات الكونية إلى ما يتصل بك مباشرة من طعام وشراب ولباس ونوم وصحو و . . ألفيت كل شىء من ذلك موجباً لذكره جل شأنه إذ هو فضله سبحانه ونعمته التى أسداها إليك بلا حول منك ولا قوة . ولو تأمل الإنسان بعين عقله ما لله من منّة فى كوب الماء الفرات لحضره من المشاعر ما يهز قلبه هزاً عميقاً . ولرأى على ضوئه ما للغفلة من بلادة وجمود وآفات وأمراض .

فالناس رجلان :

رجل يرى ما لله فى السموات والأرض من آيات ونعمة ، فلا يلقى بالا إلى ما يرى ولا يتأثر بما بين يديه من فضل ، فهو ميت . وإن عد فى عرف الحياة الظاهرة بين الأحياء ؛ ميت لأنه مقطوع الصلة بسر الوجود وباطن الحياة . . ميت القلب لا ميت البدن ، وفى مثل هؤلاء يقول الله سبحانه : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

ورجل يرى فسرعان ما يربط الصنعة بالصانع والخلق بالخالق فى منطق فطرى كامل ينظم الفكر والشعور جميعاً ، ويستخرج من هذا الربط ما شاء له الله من عبرة وحكمة وحياة . . أولئك هم أولو الألباب . وأولئك هم الأحياء وقليل ما هم

ذلك هو معنى الذكر الذى كان يحيى فى قلب عون بن عتبة ، ويحيا عون بن عتبة فيه ، حتى رأى أن الذكر هو الحياة ، والحياة هى الذكر فقال : « لو يأتى على الناس ساعة لا يذكر فيها الله عز وجل لهلك من فى الأرض جميعاً » .

والذكر عدة المرء فى الحياة وهو عزيمته وسلاحه ، ولا طاقة بالحياة وأهوالها لمن عاش فى ظلمة نفسه وغفلة قلبه ، وفى ذلك يقول : « ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل

عن الفارين ؛ والغافل فى الذاكرين ، كالفار فى المقاتلين » .

ويستفيض به هذا اليقين حتى يرى فى الذكر بشرى وحياة للجماد لا للأحياء فحسب ، وما أحسن ما يستخرج ذلك من كتاب الله عز رجل ، فيقول : « إن الجبل لينادى الجبل باسمه : يا فلان ، هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فيقول : نعم ! فيستبشر به . ويستطرد عون فيقول : هن للخير أسمع ، ويتلو قول الله تعالى : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولداً » ويعلق على هذا بقوله : « أفيسمعن منا الزور والباطل من القول ولا يسمعن ما هو حق ؟ » .

وكان من ذكره لله وقوة صلته بضمير الوجود يحس ما فى الحياة من خير روحى ، ويذوق ما هنالك من نفحات ربانية مرسلة ، يذوقها بقلبه لا بفمه ، ويحسها بجنانه لا ببنانه ، وفى ذلك يقول : « الخير من الله كثير ، ولكن لا يبصره من الناس إلا اليسير وهو للناس من الله معروض ، ولكن لا يبصره من الناس من لا ينظر إليه ولا يجده من لا يبتغيه ، ولا يستوجبه من لا يعلم به . . ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدى بها إلا العلماء » .

وما أجمل ما يرى أن خير زاد المرء من هذه الدنيا هو ذكر الله وتقواه ، وأن ذلك هو نصيبه منها وحسبه من نصيب ، وما أجمل ما يذهب إلى ذلك فى تفسير قوله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » فيقول : « إن ناساً يضعونها على غير موضعها ، إنما هى أقبل على طاعة ربك وذكره وعبادته » .

وبعد فمن هو عون هذا ؟ وما أثر ذكره فى اختيار نهجه فى الحياة ؟

مع الدعوة والنـــاس

الداعية يجب أن يشعر بأن دعوته حية فى أعصابه ، متوهجة فى ضميره ، تصيح فى دمائه — وهذا هو الداعية الصادق الذى تحس إيمانه بدعوته فى النظرة والحركة والإشارة ، وفى السمة التى تختلط بماء وجهه ، وهو الداعية الذى ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته .

الداعية المسلم هو الذى يذكر دعوته فى نومه ويقظته وعلى طعامه وبين أهله ، وفى حله وسفره وفى كل مجالسه . إذا قصد إنسانا فللدعوة ، وإذا سالم إنساناً أو عاداه فبسببها ، وإذا فرح أو حزن فمن أجلها ، وبالجملة تكون هى المسألة الأولى الحاضرة لديه فى كل وقت من أوقات حياته ، هى صلب الحياة ولبها وصميمها ، وأمور العيش على هامشها وأطرافها .

البهى الخولى

من « تذكرة الدعاة »

***

شردت نفسه فقلت له : يا صاحبى ، عجلة الزمن دائرة ، أبى الناس أو أرادوا ، وهذا الزمن أثر لا يتعجل بهوى ، ولا يدلى بسر ، فأشركه معك فى كل خطواتك واجعله من مناهجك فى كل عزماتك ، ولا تغالبه فإنك بعض ركبه إلى حيث لا تدرى .

واذكر دائماً يا صاحبى أن الفارق بعيد بين صالح ومصلح ؛ فالصالح يحيي فى نفسه لا يبالى بأحد ، والمصلح يحيي الناس به وهو يحترق بهم . والبون شاسع بين طالب جنة وداع إليها : فطالب الجنة يدق على بابها وليس وراءه إلا الخير والسلام ؛ والداعى إليها يدق على قلوب الناس ، وأكثر مافيها أقذار وأدناس و «قل أعوذ برب الناس» .

سعيد رمضان

« من المذكرات »

لحظات الاشراق الفنى

لشاعر اليمن القاضى محمد محمود الزبيرى

أحس بريحٍ كريح الجنان   تهب بأعماق روحى هبوبا

وأشعر أن القوافى تدبُّ   كالنمل ملء دماغى دبيبا

فهذا يروغ وذاك يروغ   وذلك يذعن لى مستجيبا

وذاك يفارقنى يائساً   وهذا يواعدنى أن يؤوبا

ومنها أصوغ حياة الشعوب   ومنها أُثير عليها الحروبا

ومنها أوزع للعالمين   طهراً وأنشر فى الأرض طيبا

ومنها أسودُ ومنها أجود   ومنها أقارع عنى الخطوبا

ومنها أصور هذا الوجود   وأكشف منه البديع العجيبا

ومنها الشوارد مثل البروق   تُحيى الموات وتروى الجديبا

إذ لَمَسَتْ مهجتى لمسةً   توثب قلبى بصدرى وثوبا

ومنها الأوابد لم تسكن العقول   ولم تأوِ قط القلوبا

إذا نزلت خاطرى فُزّعت   كوحش يواجه مِصْرًا خصيبا

ومنها المواليد تأبى الوجود   فتأبى الزوال وتأبى المشيبا

أراها فأحقر شأن الروىّ   بعيداً أتى أو أتانى قريبا

أخلف منها لقاح النهى   وأصنع للأرض منها شعوبا

وأزهو بها راضياً معجباً   بأنى ولدت الكثير النجيبا

ومنها المطايا إذا اقتدتُها   فتحت السما وهتكت الغيوبا

ومنها النوافر لا يستطيع   إلا نبىٌّ عليها ركوبا

وأكثرها مفلت من يدى   يغيب ولا يشتهى أن يغيبا

حروف الرّوى بها نطفة   ترعرع بيتاً عريقاً نسيبا

يضمخه الجرح من مهجتى ويخرجه من دماء خضيبا

***

وقافية تبتغى فى البحور درًا أصيلاً وصيدًا جليبًا

ووزن تحمل ثقل الجبا ل يقسم فى طيه أن تذوبا

ومعنى يسير إلى لفظه ولفظ لمعناه يجرى دؤوبا

وكل له موضع معلم يؤول إليه رشيداً لبيباً

يسارع شكل إلى شكله ويطلب كل ضريب ضريبا

كأن بعقلى لها جنةً يلاقى بها كل صب حبيبا

نواميس يسمى إليها الكلام ويبغى له من خلودٍ نصيبا

أسلم نفسى لها ذاهلا حريصاً عليها بشوشاً طروبا

وأصمت مستمعاً تارة وأصرخ حيناً عبوساً غضوبا

ولولا اهتدائى لسر النبوغ وأعراضه لطلبت الطبيبا

وما كان عقلى أجيرًا لها ولا كنت منها لكسب طلوبا

ولكنها قدَر غالب قضى أن أكون فكنت الأديبا

كذاك طبعت ومن يستطيع من طبعه موئلا أو هروبا

أحب القريض وأحبابه مع المول طفلاً ضحوكا لعوبا

وأما المشيب على مفرقى فقد صار كالناس لوناً كذوبا

وروح الطفولة فى نزعتى وفني ستمنعنى أن أشيبا

خذوا كل دنياكمُ واتركوا فؤادىَ حراً وحيداً غريبا

فإنى أعظمكم دولة وإن خلتمونى طريداً سليبا

اللهيب المطهّر

للأستاذ محمد مجذوب

[لمح ولدى غسان دموعى تفيض ، وأنا أتلو شيئاً من كتاب الله ، فأخذ يلومنى على هذا الضعف يلاحظه علىّ فى بعض أوقات الصلاة أو التلاوة .. ولم أجد له جواباً غير هذه القصيدة .] (م . م)

لقد لامنى غسّان لمّا رآنيا ... أغالبُ أجفانى على الدمع جاريا

يقولُ : عَلامَ الضعفُ يغشاك كلما ... سمعتَ كتابَ اللهِ ، أو كنتَ تاليا

وأنت الذى لقنْتَنا الصبرَ حِكمةً ... يخرُّ لديها الخطبُ خَزْيانَ واهيا

ولستُ ، بفضلِ اللهِ . مِمَّنْ إذا جرى ... على السمع ذكرُ اللهِ أعرض جافيا

ولكننى أعصى جفونى ، وفى الحشا ... مَراجِلُ دمعٍ قد بلغنَ التراقيا

أذلك رَجْعُ السنِّ وافاكَ مُبكراً ... أم السقمُ .. أم أشياءُ لم أدرِ ما هيا !

.. فقلت : رويداً يا بنىَّ فإننى ... أُعيذُكَ أنْ تشتطَّ فى الحكم باغيا

هو الحبُّ يا غسّان يستبدل النهى ... جنوناً ، ويستخذى له الدمعُ عاصيا

وليس (جميلٌ) ، لا وربِّ (بُثينة) ... بأَوْجَدَ منى لو تعرفتَ شانيا

ولا (ابنُ ذريحٍ) إذْ يفارقُ رشدَه ... (بليلى) أشدَّ اليوم منى تفانيا

سبى قبلىَ العشاقَ جيدٌ ومقلةٌ ... فَجُنُّوا وما لِيموا ، فكيف ملاميا !

وما أنا بالباغى على الحبِّ مُتعةً ... وَأَخجلُ أن يلقانىَ اللهُ لاهيا

ولكنَّ فى حبى لهيباً مطهِّراً ... وجَدتُ به من كل داء شفائيا

لئن هَتَامَ غيرى بالجمالِ فإنما ... بمصدرِ أسرار الجمالِ هُياميا

***

ورُبَّ حديثٍ من حبيبٍ مُغَرِّرٍ ... ألَمَّ بصبٍّ فاستُطيرَ تَصَابيا

تراءتْ له أحلامُه مِن خلالِه ... فكان هو الدنيا ، وكان الأمانيا

فكيف ترانى أملك الوعىَ لحظةً إذا زجّم التّالون تلك المثانيا !
وفى كل حرفٍ ثَمّ للقلب نفحة أكاد بها أنسى وجودى وذاتيا
وأوشكُ فيها أن أرى اللهَ جهرةً يُطِلُّ برحماه على مناجيا
فتسبح روحى منه فى كل عالمٍ أرى كل شىء فيه — حاشاه — فانيا
فلا قَيْدَ من فقرٍ وخوفٍ ورَغبةٍ ولا سِتْرَ إلا النورَ يَغْشى المآقيا
كهاربُ لو مسَّتْ حشا الطَّوْدِ راسخاً لخرَّ لها من خَشْيَةِ الله جاثيا

* * *

أقِلَّ علىَّ اللَّوْمَ غسانُ . إننى سعيدٌ بهذا الدمع يُفنى كيانيا
فلم يبكِ من ضعفٍ أبوك ، وإنما حنيناً لِمَنْ يعنو له الكونُ باكيا



معرفة الحقائق

« إننا لن نستطيع أن نعرف وضعنا الحقيقى فى هذا العالم إلا إذا عرفنا الحقائق فى هذا العالم وواجهناها سواء فى علوم الطبيعة والكيمياء الجيولوجيا أو البيولوجيا أو علوم العقل والسلوك » .

« ماكس أوهو »

إخواننا فى نيجيريا



تقع نيجيريا غرب القارة الإفريقية على ساحل المحيط الأطلسى ، وتبلغ مساحتها (٤٠٧ آلاف) ميل مربع أى ما يساوى مساحة انجلترا وفرنسا وبلجيكا ؛ ويروى أراضيها نهر عظيم يدعى النيجر وفروعه الممتدة فى أنحاء البلاد . وتعد نيجيريا اليوم أكبر مستعمرات بريطانيا بعد أن فقدت الهند وأكثرها تقدماً ؛ وفيها من السكان أكثر من أى قطر فى القارة الأفريقية ، وهم زهاء ثلاثين مليون نسمة .

يقطن نيجيريا ثلاث قبائل رئيسية : هووسة ويوربا وايبو ، وبحسبها تنقسم نيجيريا إلى ثلاثة أقسام :

١ — القسم الشمالى وتقطنه قبيلة هووسة وفيه ستة عشر مليون نسمة منهم أربعة عشر مليوناً مسلمون .

٢ — القسم الغربى وتقطنه قبيلة يوربا وفيه ستة ملايين نسمة منهم أربعة ملايين مسلمون ، والباقى ديانتهم المسيحية وغيرها .

٣ — القسم الشرقى وتقطنه قبيلة ايبو وسكانه ثمانية ملايين نسمة أكثرهم مسيحيون .

وعلى ذلك فالمسلمون يكونون فى نيجيريا نسبة ٦٦٪ من السكان ، متركزين فى الشمال والغرب ، وبذلك تعد نيجيريا من البلاد الإسلامية .

مركزها الاقتصادى :

تعد نيجيريا من أغنى الأقطار على وجه الأرض ، وثانى قطر فى العالم يتوفر فيه الغذاء بعد أمريكا .

ونيجيريا لا تزال تعتبر بلداً زراعياً ، وأشهر حاصلاتها : الكاكاو والكاولا والفول السودانى والقطن والأرز والقمح والذرة والزنجبيل . ومن الفواكه : البرتقال والموز والأناناس والبوبوس والشمام .

وأراضى نيجيريا غنية بمعادنها وأهمها الذهب والنحاس والصفيح والبترول والفحم والرصاص والفضة وحجر الماس والزنك والحديد والمغنيسيا والياقوت الأصفر وحجر سيلان وحجر الكلس والجبس وحجر الأردواز .

وتصدر نيجيريا من حاصلاتها الكاكاو والكاولا والزيت والقطن والفول السودانى والمطاط والأخشاب والجلود ، وقد بلغت صادراتها فى العام الماضى (١٣٠ مليون) جنيه .

وحيث أن المجال محدود من الناحية الصناعية فى نيجيريا كان لابد من استيراد ما تحتاج إليه من المنسوجات وأدوات البناء وسائر المصنوعات الحيوية وقد بلغت قيمة الواردات فى السنة الماضية (٨٥ مليون) جنيه معظمها من أسواق انجلترا !

الإسلام فى نيجيريا :

دخل الإسلام نيجيريا فى القرن الثامن الهجرى مع قوافل تجار مغاربة شمال أفريقية ، وكان أهم مراكزهم دجنيه (Djene) ثم تمبكتو (وهما حالياً من بلاد الداخل فى السودان الفرنسى فى منطقة منابع نهر النيجر) .

مسلمو الشمال : استعصى مسلمو الشمال على الاستعمار زمناً ، ولم تتمكن جحافل الإنجليز من اكتساح بلادهم ، إلا أنهم عرفوا موطن الضعف فيهم ، فقد كان سلاطين الشمال على اتحادهم فى مواجهة الاستعمار جائرين على الأهالى يحكمونهم باسم الإسلام والإسلام من ظلمهم برىء — وتلك آفة الحكام فى كل بلد إسلامى منكوب — وبذا تمكن الإنجليز من تمزيق صفوف السلاطين ، إلا أنهم لم يحكموا البلاد حكماً مباشراً لما عرفوه من عناد المسلمين للكفار هناك ، فأعادوا الحكم لأولئك السلاطين الطغاة ، وهم لا يزالون مستبدين بالأمور حتى اليوم يعملون بما يمليه عليهم الغاصبون .

ومع أن هذه المنطقة قد مارست الحضارة قبل قسمى الشرق والغرب فى نيجيريا ، وعرفت القراءة والكتابة بفضل الإسلام منذ زمن بعيد ، إلا أنها الآن تأخرت عنهما كثيراً . فقد حرص الاستعمار هنا على أن يعزلها ثقافياً عن العالم فجعل مناهج التعليم الإبتدائى والثانوى خاصاً لا يمت بصلة إلى الشرق الإسلامى أو الغرب الأوروبى .

ولإشباع الرغبة فى التعليم العالى أنشئت الكلية الشرعية ويدرس فيها مدرسون من السودان وبعض الإنجليز الذين كانوا يخدمون فى وزارة المعارف المصرية ، وهى خاصة بأبناء السلاطين تؤهلهم لتولى المناصب العامة . وإنشاء هذه الكلية متمم لمنهج الاستعمار الذى يهدف إلى عزل هذه المنطقة عن العالم الإسلامى ، وبذلك عزف الطلاب عن إنتجاع الأزهر لطلب العلم .

مسلمو الغرب : إن أثر المدنية الغربية فى هذه المنطقة أظهر من أثره فى الشمال وذلك لسببين :

الأول لأن الحكم فيها بريطانى مباشر ، والثانى لوجود الوطنيين المسيحيين الذين ترعاهم الجمعيات التبشيرية النشيطة .

وقد نشأت سنة ١٩٢٨ جمعية إسلامية فى هذا القسم تدعى جمعية أنصار الدين تهدف إلى نشر الإسلام بطرق تتمشى مع العصر ، وتعميم المدارس ، وقد أنشأت هذه الجمعية أول مدرسة ثانوية سنة ١٩٣٢ ولها الآن ستون مدرسة منبثة فى أقسام نيجيريا الثلاثة ومعهد للمعلمين وكلية للتعليم العالى لأبناء المسلمين . وتنفق الجمعية على بعثات تتلقى العلم فى الخارج ليعود أفرادها مدرسين فى الكلية وسائر المعاهد .

وهناك جمعيات إسلامية أخرى ، ويساهم فى بعضها النساء بنصيب وافر .

الاستعمار فى نيجيريا :

نيجيريا مستعمرة استولت عليها بريطانيا سنة ١٨٥١ ونالت اعتراف الدول سنة ١٨٥٥ فى مؤتمر « برلين » .

إلا أن معظم البلاد الداخلية من نيجيريا لم تكن معروفة لدى الإنجليز حتى سنة ١٩٠٣ ، وقد كان يسيطر على بعضها ويستغلها تجار البرتغال والأسبان الذين وجدوا لحاصلاتها أسواقاً رائجة فى أوربا . لهذا طمعت فيها بريطانيا وقامت بغزوها ؛ ولم تعوزها الحجة فبررت ذلك الغزو بحركة وقف تجارة الرقيق التى كانت رائجة فى غرب أفريقيا ، وكان رئيس عصابات هذه التجارة مقره لاغوس عاصمة نيجيريا اليوم ، وتحت هذا الادعاء وضعت لاغوس تحت نفوذ العلم البريطانى بعد معركة دامية هزم الانجليز فيها ملك لاغوس — رئيس عصابات الرقيق — وطردوه وولوا مكانه ابن عمه الذى ساعدهم فى الاحتلال ، وأخذوا عليه عهداً بالتبادل التجارى والتمكين للتجار الأوربيين ولنشاط المبشرين .

استقرت حكومة الاستعمار فى لاغوس حتى أصبحت مستعمرة بريطانية رسمية سنة ١٨٦١ ، ثم أخذت تتوغل فى البلاد حتى استعمرت سائر بلاد نيجيريا التى كانت خاضعة لاتفاقية مع شركة النيجر الملكية .

وفى سنة ١٩٠٩ أصبح حاكم المستعمرة فى الشمال حاكماً لمحمية جنوب نيجيريا أيضاً ، ثم توحد الشمال والجنوب سنة ١٩١٤ .

الحالة السياسية :

تحكم نيجيريا اليوم بحكم دستورى نالته منذ سنتين يخولها الاستقلال سنة ١٩٥٦ ، وقد نال النجيريون هذا الدستور نتيجة لكفاح مرير سقط على أثره الدستور السابق .

وتتركز الحركة الوطنية فى نيجيريا فى ثلاثة أحزاب ، وهى : حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطنى وحزب أبناء شمال نيجيريا ، وحزب العمل ، وأقوى هذه الأحزاب وأكثرها أنصاراً حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطنى الذى يرأسه الدكتور أزكوى ، وهو سياسى معروف فى أوساط السياسة الأوربية والأمريكية ومعظم بلاد افريقية ، وكان أول من أرسل محامياً للدفاع عن رئيس حركة ماو ماو فى كينيا .

يشترك فى الحكم الداخلى فى غينيا الأحزاب الثلاثة . فمنذ اضطرت بريطانيا إلى تغيير دستور سنة ١٩٤٧ قسمت نيجيريا إلى ثلاث مناطق لكل منها نوابها ومجلس وزرائها ، ويضمها برلمان

واحد ، وفى بعض المناطق الغربية والشمالية مجالس لرؤساء القبائل. ويمثل نيجيريا فى الخارج ويتولى التشريع لها مجلس الوزراء المركزى . ويحكم المنطقة الشرقية حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطنى الذى يهدف إلى توحيد نيجيريا؛ ويحكم شمال نيجيريا حزب أبناء شمال نيجيريا ، وهو ينادى باستقلال كل منطقة عن الأخرى تحت اسم نيجيريا ؛ وفى المنطقة الغربية يتولى الحكم حزب العمل الذى يعارض حزب مجلس نيجيريا وكارون الوطنى معارضة شديدة .

ومما يذكر أن بريطانيا تشجع الانقسام والتفرقة ، شأنها فى الاستعمار فى كل مكان ، وقد حاولت فصل الشمال عن الجنوب واصطنعت أنصاراً من سلاطين المسلمين فى الشمال المطالبة بنصف مقاعد البرلمان التى تبلغ ١٣٢ مقعداً ، فرضى بذلك الجنوبيون نظراً للخطر الناجم عن التقسيم ، وبذلك أحبطوا على الانجليز هذه المحاولة .

التعليم :

تختلف نسبة التعليم فى نيجيريا باختلاف مناطقها الثلاث ، فالنسبة فى المنطقة الغربية ٤٥ ٪ وفى المنطقة الشرقية ٢٥ ٪ أما فى المنطقة الشمالية فنسبة المتعلمين ٢٠ ٪

وفى نيجيريا اليوم ٩٠٠٠ مدرسة ابتدائية و ٣٢٧ مدرسة ثانوية ويبلغ عدد مدارس المعلمين ومعاهد التربية ١٢٣ ومنذ عامين فتحت كلية جامعية ملحقة بجامعة لندن . وتنفق على قسم من هذه المدارس حكومات نيجيريا ، وقسم آخر كبير يتولاه التبشير ، وقسم ثالث ينفق عليه الأفراد الوطنيون والجمعيات الإسلامية .

التبشير والثقافة الاستعمارية :

إن حركة التبشير فى نيجيريا نشيطة نشاطاً بالغاً يدل عليه كثرة المدارس والمراكز التبشيرية المنبثة فى أنحاء البلاد ، وتساير حركة التبشير حركة أخرى لا تقل خطأ هى الغزو الثقافى الانجليزى الاستعمارى الذى يجتاح أبناء نيجيريا .

إن دستور نيجيريا الجديد يقضى بمنح النيجيريين الحكم الذاتى فى سنة ١٩٥٦ ، ويسعى والاستعمار كأنه فى سباق فى بث ثقافته سعياً يدل عليه هذا التزايد فى البعثات للدراسة فى انجلترا ، حيث يبلغ عدد أفرادها ثمانمائة طالب منهم مئتان من الأناث . ويدرس فى أمريكا ستون طالبا منهم خمسة وعشرون طالبة .

وأخشى ما نخشاه حين يحتل هذا الجيش المتكاثر من الوطنيين المثقفين بالثقافة الأجنبية مراكز المستعمرين أن تعانى البلاد من أثر هذه الثقافة فيهم مالا تزال تعانيه أخواتها فى العالم الإسلامى وعلى أية حال ، فأثر الحياة الغربية فى نيجيريا محدود ، ونرجو أن تحبط الفطرة الاسلامية فى نفوس النيجيريين أثر الاتجاهات الاستعمارية سواء من المواطنين أو المستعمرين ، حتى يكتمل لهم الوعى الإسلامى مستجيباً للانتعاش السارى فى كل البلاد الإسلامية ليقوم بالدور الإيجابى ، لا فى إزالة كابوس الاستعمار وحسب ، بل فى نهضة الشعب النيجيرى على أصول الإسلام وقواعده .

فى أفق العالم الإسلامى

باكستان :

يعلم الناس صلتنا بالباكستان وحبنا لها ، وتعلم باكستان قبل غيرها أننا لم نتصل بها ولم نحبها إلا لما رجوناه فى نصرتها من نصرة الإسلام ، ومعنى ذلك أننا نقف إلى جانبها ما التزمت عهدها فى تنفيذ أحكامه ، فإذا حادت عن ذلك فواجبنا الأول أن نذكرها به ، وأن نلح فى تذكيرها ، فذلك حقها ، وحق الآمال الكبيرة التى يعلقها عليها المسلمون فى كل مكان ، فإذا رفضت النصيحة فإننا أول من يفاصلها ويقول فيها كلمة الحق ، لأننا مسئولون عن هذه الآمال المعلقة والعواطف الصادقة التى إئتمنتنا فى كل قطر من أقطار الإسلام . ونحن واثقون أننا فى كل ذلك نمثل عواطف الشعب الباكستانى قبل غيره ، فقد عرفنا هذا الشعب وعشنا معه قرابة عامين بلونا فيها حقيقته وعرفنا فطرته المتدينة وتضحياته الرهيبة فى سبيل أن تقوم دولة للاسلام بعد مضى مائة وخمسين عاما من الذل والاستعباد قبل التقسيم ؛ وواثقون أننا نسوق الخير إلى حكومة باكستان التى لن يبقى على سلطانها على شعبها إلا الإسلام . إن بين (شتاجونج) و (كراتشى) قرابة أسبوعين فى البحر والاختلاف بينهما شديد فى اللغة والعادات والتقاليد ، وليس يجمعهما إلا « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، يقابل ذلك فى الناحية الأخرى ثلثمائة مليون من الهندوك يجمع شملهم التعصب المقيت الرهيب للهندوكية ، وكل باكستانى يعلم أن جماعة (المهاسبا) الخطرة هى ذات النفوذ فى سياسة الهند ، فكيف تواجه الباكستان ذلك كله إلا بالعقيدة ؟ بل لماذا وجدت الباكستان إذاً وحدث التقسيم ؟ ونحن حين نقول « العقيدة » لانعنى طبعاً — وذلك أمر يفهمه ويؤمن به أكثر الباكستانيين — التمائم والشعوذة أو الأمانى والوعود ، ولكن نعنى بها الأوضاع السليمة التى تقوم على أصول الإسلام دليلا على أن الأمة قد أسلمت حقيقة لله رب العالمين ... هذه الأوضاع التى طال شوق الناس إلى أن يروها فى باكستان بعد الوعود الكثيرة وبعد قرار المجلس الدستورى بأهداف الدستور الجديد . إن تطبيق الإسلام هو التفسير الوحيد لسبب قيام باكستان وتقسيم الهند ، وهو وحده الضمان لبقاء باكستان وقوتها ، ولن تجد باكستان بدونه رأياً عاما ينتصر لها ، أما ما تجده من عطف الدول الكبرى ، العطف الذى قد يبدو أنه لا فضل للاسلام فيه ، بل ربما قواه البعد عن الإسلام ؛ فهو عطف كاذب ستجنى الهند الكبيرة ثماره لأنها فى ميزان المصالح الدولية أولى به .

* * *

نقول ذلك بمناسبة اضطهاد كثير من علماء الإسلام فى باكستان وحملة الصحف عليهم ، ثم القبض على الأستاذ أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة الإسلامية وسائر قادة الجماعة والحكم عليه بالإعدام ... ونحن حين نقدر تخفيف هذا الحكم فيما بعد إلى السجن أربعة عشر عاما نطالب بالإفراج عنه ، ونلح فى ذلك ، مؤمنين أن فى ذلك خير باكستان حكومة وشعباً .

فلسطين :

قدم وفد كريم من أهل غزة المذكرة التالية إلى وزراء خارجية الدول العربية :

« منذ خمس سنوات ملأت أجواء فلسطين إذاعات الدول العربية ، وتداولت أيدى أبنائها صحف الدول العربية ، وكلها نداءات لأهل فلسطين بالصبر والمصابرة والحفاظ وكلها نخوة ونجدة وعهود بالزحف والغوث ووعود برد للعدوان وإنقاذ أهل هذا البلد المنكود من العصابات اليهودية مما ملأ النفوس عزة وكرامة وحولها إلى عزيمة واستبشار .

وفى خلال خمس سنوات فقد الفلسطينيون أوطانهم وأموالهم وانتهكت مقدساتهم وزعزعت عقائدهم وتحطمت مثلهم ، وسيموا الذل والخسف ، وعانوا الجوع والمرض ، وصبروا صبر الكرام ، يعيشون على الأمل السعيد ، والحلم الذهبى ، والأمانى المعسولة ، بأن استرداد الحقوق واستعادة الكرامة والعودة إلى الوطن ، كل ذلك يتحدث به الساسة العرب أن يومه قريب وتحقيقه واقع غداً أو بعد غد وفى هذا الشهر أو الذى يليه .

خمس سنوات سلخها اللاجئون فى اتعس ظروف مرت على بشر وفى أسوأ أحوال عرفها الناس وفى كل سنة يكون الأمل فيها أبعد من التى سبقتها ، لا بفعل بفعل سياسة الدول الاستعمارية فحسب بل بفعل عملائها بين ساسة العرب أيضاً ، الأمر الذى كانت من نتائجه تقويض العروش وانقلاب الحكومات وتغيير النظم وتبديل المفاهيم .

ولكن هذه التغييرات فى البلاد العربية والتى أعادت الأمل إلى سابق حياتها ، لم يلمس لها أثرها المأمول لا فى وضع القضية الفلسطينية ، ولا فى منع استمرار تدهورها وسقوطها .

وإذا كان للفلسطينى أن يحاسب القائمين على أمر قضيته ، وهو حقه ولاشك ، فإنه يلحظ أن بوادر تصفية هذه القضية قد بدأت تتخذ طريقها العملى تحت أبصار ساسة العرب وأسماعهم . فقد أصبحت وكالة الغوث بعد أن كانت مهمتها إغاثة اللاجئين المؤقتة إلى أن تحل قضيتهم ، أصبحت وكالة لتوزيعهم فى البلاد العربية ، تحت ستار التشغيل وإعالة أنفسهم بأنفسهم ، مستعملة الشعار التخديرى الساخر « على أن لا يمنع ذلك اللاجئين من حقهم فى العودة إلى ديارهم » .

ولقد اشتركت بعض الدول العربية عملياً فى تنفيذ التصفية الجائرة ، بإنشاء المشاريع التى تهدف إلى إعمار بلد جرداء ، لقاء التنازل عن وطن كامل لا يحتاج إلى إعمار غنى موارده وتراثه وتاريخه فلله كيف تقلب الأمور وكيف تحل المشاكل !

إن الصحف تتحدث عن مشاريع اليرموك وسينا وغيرها ، على اعتبار أنها أمور واقعة وأنها مشاريع فى طريق التنفيذ ، فى الوقت الذى لا تسمع فيه من مسئول واحد أى تكذيب لها لا بالفعل حتى ولا بالقول ، مما أودع فى نفوس اللاجئين ، أن قضيتهم لم تعد قضية وطن بين أيدى الساسة العرب وإنما أصبحت قضية مساومة ، أو قضية بيع الجنازة ، ولم تصبح قضية تسميم أو وحدة وطن ، وإنما أصبحت قضية اقتسام أكفان الميت وبيع جثته لإطعام الكلاب .

إن من المفروغ منه القول بأن إسرائيل خطر على البلاد العربية جمعاء ، وأن من البديهى أن معالجة القضية اليوم أيسر من معالجتها فى المستقبل ، وأن إشراك الفلسطينى عملياً فى معالجة قضيته ، وأن مقاومة الإسكان بالقوة ، وأن تهديد مصالح الدول التى خلقت إسرائيل وتعمل على تثبيتها ، كل هذه الأمور هى أنواع من الكفاح من أجل القضية ، وإهمالها والتراخى عنها قتل للقضية وتصفية لها وتضييع للقضية الفلسطينية وتصفيتها ، وفرصة جديدة لإسرائيل ، تتيح لها الانتقال إلى

مرحلة أخرى من مراحل سياستها المبيته للتوسع ، ومواجهة لخطر جديد من أخطار إسرائيل .

إن اللجنة التنفيذية لمؤتمر اللاجئين بقطاع غزة تتقدم إليكم ممثلة بلسان مئتى ألف مهاجر ، يمثلون أمانى جميع عرب فلسطين ، أن كل من يوافق على الإسكان من ساسة العرب ، خائن للقضية الفلسطينية ، وأن الفلسطينيين لن يتنازلوا عن وطنهم العزيز وأنهم يرفضون الإسكان على أى شكل وتحت أية غاية . وأنهم سيحاربون إلى النهاية هذا المشروع الدنئ ، وهم لن يتحركوا قيد أنملة من الرقعة المباركة من وطنهم إلا إليه وحده ، وأنهم يفضلون الموت جوعا وتقتيلا على الانتقال إلى أية بقعة أخرى .

إننا نعلن حضراتكم رغبتنا هذه ، ونطلب منكم أن تعدوا بيانا مشتركا تعلنون فيه رفضكم لمشاريع الإسكان على أى شكل كانت ، وأن تعلنوا باسم حكوماتكم أنكم تقاومون أى نوع من أنواع التشغيل التى ستنتهى حتما إلى الاسكان .

إن مطالبتكم بتنفيذ قرارات هيئة الأمم بشأن القضية الفلسطينية ، فى الوقت الذى تعقد فيه الاتفاقات مع وكالة الغوث بشأن التشغيل ، يصبح شيئاً لامعنى له ، فإن تناقض العمل مع القول معناه ابطال للقول وتحقيق للعمل ..

وإذا كانت أوضاعكم لا تحتمل هذا فإنها على التحقيق تحتمل رفض الاسكان فى أراضيكم فهو حقكم وحدكم ، ولايوجد أبداً حل لقضية فلسطين ، إلا بطريقتين لا ثالثة لهما ، إما الاسكان فى البلاد العربية ، وإما الإعادة إلى الوطن ، ويستحيل أن تتم الأولى إلا بموافقة حكوماتكم ، ولاتتم الأخرى إلا برفض حكوماتكم . وليس بينكم من يحب أن يجلل نفسه بعار تضييع القضية الفلسطينية ، ولا من يحب أن يدخل إلى داره شرارة الحريق والنقمة .

تدويل القدس :

أعادت زيارة دلاس وستيفنسون إلى القدس تلك الحركة التى كانت تهدف لتدويل القدس إلى الظهور بشكل سافر صريح : فقد اتصل بعض الشخصيات المسيحية فى القدس بهذين السياسيين الأمريكيين بشأن التدويل ، وطيروا عددا من البرقيات إلى أيزنهاور والبابا وغيرهما ؛ ولأول مرة تؤيد التدويل بعض الصحف فى القدس .

والغريب فى الأمر أن الحكومة الأردنية التى مافتئت تعارض فى التدويل أشد معارضة نراها اليوم لاتبين برأى صريح فى هذا الموضوع .

إن حالة القدس الاقتصادية قد بلغت فى تدهورها الحضيض(١) ووصلت إلى غاية تفلتت معها وطنية بعض المواطنين من المسيحيين على الخصوص — فضلا عن أثر دس الأجانب القائمين على الأديرة التابعة لمختلف الكنائس — فتلمسوا العون لدى الفاتيكان والقصر الأبيض وغيرهما من معاقل الشقاء لهذا الشرق منذ قام البابا أوربانوس يؤلب أوروبا على المسلمين بحجة إنقاذ « قبر المسيح » من أيديهم .

إن تدويل القدس ينطوى على أشد الأخطار التى لم نزل نبينها فى كل مناسبة(٢) والمؤسف أن الحكومات العربية لاتزال تجهل أو تتجاهل هذه الكارثة المحدقة فتطالب هيئة الأمم بتنفيذ مشروع التدويل !

ولنا قريباً عودة إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

---

(١) إقرأ (القدس بين التهديد والتدويل) فى العدد التاسع من السنة الأولى من « المسلمون » .

(٢) أنظر افتتاحية العدد السادس من السنة الثانية من « المسلمون » (فى بيت المقدس) .

أخبار متفرقة

● أعلن فى مصر النظام الجمهورى خلال فترة الانتقال ، وصحب ذلك إعلان الرئيس اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيساً للجمهورية ، وتشكيل وزارة شبه عسكرية .

والله تعالى نسأل أن يكتب لمصر الخير الذى يحبه ويرضاه .

● يزور مصر هذا الشهر السيد محمد على رئيس وزراء الباكستان ، ولا شك أنه سيجد من ترحيب مصر حكومة وشعبا ما يجعله يطمئن إلى العاطفة التى تربط باكستان بهذا الجزء من الوطن الإسلامى الكبير ويستشعر الأمانه الكبيرة فى عنق باكستان .

● تشغل مشكلة القدس بال الدوائر العليا فى وزارة الخارجية الأمريكية ، وقد كانت من بين المسائل التى تضمنها تقرير مستر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية عن رحلته الأخيرة فى الشرق الأوسط .

● هاجم القس سمول دوق ادنبرة — زوج الملكة اليزابيث — لأن الدوق ذهب إلى الكنيسة فى الصباح ، وأدى الصلاة ، ثم ذهب بعد الظهر إلى النادى ولعب البولو ، وقال القس : إن التقاليد المسيحية فى انجلترا لا تسمح مطلقاً بلعب البولو يوم الأحد ، بوصفه يوم عطلة دينية .

ثم قال القس : أن مثل هذا الخلق يدعو إلى الأسف . . . واتجه إلى أعضاء المجمع الدينى فى جلاسجو باسكتلاندا وقال : كيف يجوز لزوج الملكة أن يصر على عدم احترام هذا اليوم المقدس ؟ وقد صفق الحاضرون موافقين على ملاحظة القس سمول وقد صرح بأن أغلب قساوسة انجلترا يؤيدونه فى انتقاد تصرف زوج الملكة .

هذا الخبر نهديه إلى المسئولين عن حفلات حديقة الأندلس الماجنة وإذاعتها فى ليالى رمضان حتى فى ليلة القدر .

● أرسل رئيس تحرير « المسلمون » البرقية التالية إلى الحاكم العام لباكستان :

« الحكم بإعدام الأستاذ المودودى واضطهاد العلماء أزعج المسلمين كل الإزعاج فأناشدكم أن ترفعوا هذا الحكم الغريب الجائر لمصلحتكم ولمصلحة الحركة الإسلامية التى ظنت أنها وجدت وطنا حرا فى باكستان » كما أرسلت برقيات أخرى من الجماعات الإسلامية فى مصر ، وقد خفف الحكم إلى السجن ١٤ سنة . ولا تزال هذه الجماعات تطالب بالافراج عنه .

● سألت المعارضة موسى شاريت وزير الخارجية الاسرائيلية عن البيان الذى ألقاه مستر دلاس وزير الخارجية الأمريكية ، فأجاب بقوله : إن حكومته لا تعتبر هذا البيان معبرا عن سياسة أمريكا الرسمية . وأضاف إلى ذلك قوله : إن حكومة إسرائيل لم تغير موقفها بشأن المسائل التى تختص بالمحافظة على كيان إسرائيل ، أو مشكلة اللاجئين العرب ، أو الوضع بالنسبة لمدينة القدس .

● زار السيد محمد منتصر رئيس وزراء ليبيا المستر سلوين لويد وزير الدولة البريطانية للشئون الخارجية ليبحث معه سير المحادثات الخاصة بعقد معاهدة صداقة بين البلدين .

● أعلن وزير مالية اسرائيل عن مشروع مدته عشرون عاما لإنشاء صناعة كيميائية ومعدنية كبيرة فى جنوب صحراء النقب المتاخمة لصحراء سينا .

وسيتكلف تنفيذ هذا البرنامج حوالى مائة مليون جنيه استرلينى . وتوفره الحكومة والأفراد .

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات هذا العدد

دار الكتاب العربي بمصر